ماجى صلاح

الدائرة المفتوحة

قصص قصيرة

صدرت الطبعة الأولى فى سبتمبر 2018

بطاقة الكتاب

عنوان المؤَلَّف : الدائرة المفتوحة
المؤلِّف : مجيدة صلاح السعيد محمد حسن
إسم الشهرة : ماجى صلاح
التصنيف : قصص قصيرة
رقم الإيداع : 2018-16031
الترقيم الدولى : 978-977-6566-73-4
عدد الصفحات : 96 صفحة
رقم الإصدار الداخلى : 244 طبعة أولى فى سبتمبر 2018
تصميم الغلاف والتنسيق :



إهـــــــــداء

أهدي تلك الكلمات

إلى كل من ظن أنه أكثر الناس تعاسة !!

تلك القصص هى واقع يعيشه

الكثيرون من البشر

ولكن مازال يسكنهم بعض الأمل فى رحمة الله
فاتخذوا من الرضى فى الدنيا رفيق

ماجى صلاح

مقدمة المجموعة القصصية

الدائرة المفتوحة

للكاتبة الروائية المتميزة ماجى صلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

خلق الله الإنسان على فطرة الرغبة فى سماع الحكايات وتأليفها فهى رغبة قديمة جدا ولعل تلك الرغبة هى السبب وراء ظهور أسطورة إيزيس وازوريس تعبيرا عن الصراع بين الخير والشر كما مختلف الأساطير والروايات عبر التاريخ .

هى ذات الرغبة كانت ايضا وراء إبداع السير الشعبية التى مزجت التاريخ لأحلام الناس ولولا إبتكار الكتابة لما وصلت إلينا هذه الأعمال ..

إن أبسط المبادىء النقدية التى نعلمها لأبنائنا أن الإبداع في كل صوره ومدارسه وتقسيماته هو نقد للواقع . أخذنا ذلك عن شيخ النقاد جميعا وهو أرسطو حينما قال فى تعريفه للأدب بأنه

محاكاة لا لما هو كائن أو موجود فحسب بل لما يحتمل أن يكون وما يجب أن يكون

هكذا يجب أن يكون الأديب فى تعامله مع النص الروائي حين يلامس أو يعرض لقضايا إنسانية ومجتمعية استشرفها من الواقع المعاش تلك القضايا المتعددة والمتباينة التى تتشعب احيانا وتستقل وتنفصل أحيانا أخرى

فالإبداع هو حالة وعى أكيدة وقد ابتعدنا قرونا طويلة عن المفهوم الأفلاطونى عن محاكاة المبدع للأشياء فى عالم المثل والقول بأن المبدع للأشياء فى عالم المثل يعيش حالة لا وعى فى أثناء اللحظة الإبداعية تنتقل إلى كل من الراوى والمتلقى وهى بالقطع لحظة تتمرد فيها الأنا الفاعلة ..

فلنتعرف معا على تلك الأثار الدلالية فى متخيلات تحاورنا فيها ماجى صلاح من مسافات الكتابة مختلفة فى الدائرة المفتوحة

أطيب تحياتى وأصدق الأمنيات

النـاقد

عصام الدين أحمد صقر



بداية النهاية

انتفض على صوت بكاء أمه الذي كان يعلوه صوت معدته وهي تصرخ. تستجير طلبا للطعام.. تذكر والده حين كان يربط حزام على بطنه لتهدئة الجوع.. نظر فوجد امه تضم أخته الصغيرة ذات العشرة أشهر إلى صدرها بقوة وتطلق شهقات متقطعة ودموعها نهر جار لا يتوقف... خشي على أخته أن تتكسر ضلوعها فهي ضعيفة ومريضة وكذلك أمه مريضة حتى أن صدرها قد جف منه الحليب وصوت سعالها يؤلمه كما يؤلمها.. خاطبها...

امي رفقا بها فهي نائمة على ما يبدو.. نظرت له ثم ضمته إلى صدرها، وبصوت كالآنين قالت. ماتت أختك.. الغريب انه لم يبك ولن يبكي فمنذ ستة أشهر قتل ابوه أمام عينيه حين دخلت بعض العصابات المسلحة قريته وبلا سبب فقط اتهموهم أنهم موالون للحكومة واختاروا بعض من رجال القرية وأعدموهم حتى يكونوا عبرة لمن تسول له نفسه أن ينضم للحكومة وتعرضت بعض النساء للاختطاف.. واختفى

الجميع كما ظهروا فجأة.. وإن ماتت أختـه فقد رحمـها الله من الجوع ومصير اسوأ من الموت ...

الحمد لله فقد أنقذت من تلك الدنيا وما فيـها.. جلس بجانب أمه يواسيـها

أمي لا تبكيها فقد رحلت لخالقها ... أبكينا نحن فلا طعام ولا مأوى إلا بيت متـهالك قد ينـهار في أي لحظة ...

ها هو قد أتم العاشرة وقد أصبح مسؤولاً عن اسرة مات نصفها ولم يبق إلا هو وأمه..

كيف سيداويها أو يطعمها.. تذكر كلمات أبيه أنه رجل.. إذن سيتصرف كرجل

لقد سمع ان الانضمام لتلك العصابات مفيد وفكر.. ولكنى طفل.. لا لست بطفل سأحاول من أجل أمي ... وحين أخبر أمه بكت وناحت ولكنها لم تجد سبيل اخر فعجزها وقلة حيلتها قيدوها

وكانت أماكن تلك العصابات معروفة للجميع ... فذهب لـهم مستسلما للواقع المر...وفى أول يوم جلس يستمع الى كبيرهم ... الحكومات تصرف على السلاح لا على الأفراد

تنسى الشعب المريض الجائع ...كل ما يهمها أن تدافع عن سلطة وهمية وأراض تحتلها عصابات غبية تحركها حكومات خارجية مستفيدة من الانشقاق كل ما يهمهم مصالحهم الخاصة ... وما نحن إلا سماد الأرض يطأوننا بأحذيتهم بلا رحمة ...

وهكذا كانت بدايتي ... لا تسخروا منى ومن طفولتي.. فقد رضعت من صدر أمي الذل والجوع تعلمت من موت أبى القهر والضياع، لماذا أهتم من يحكم المهم أن أجد ما يشبع جوعى ويداوى امي ... سحقا للحكومات ومرحبا بالموت في زمن نسير فيه أمواتا على أقدامنا تحركنا أيادي الظلم والطمع ... سحقا لبشر يتجملون وهم أهملوا الطفولة حتى حولونا نحن الأطفال إلى قنابل موقوتة ستدمر يوما ما الجميع ... وغدا لناظره قريب ...

دائرة الحياة

ولدنا أحرارا من كل القيود نضحك ، نبكى ، نصرخ ، نتدلل ، نأكل الطعام ، او نرفضه ، حياة ما أروعها .. ولكننا في النهاية نسكن في مجتمع يعشق القيود ويلعنها في نفس الوقت !! .. فكر في كل هذا وهو ينظر حوله بعصبية ، المحطة مزدحمة.. استند على الحائط بترهل .. الحركة حوله كمحيط صاخب الأمواج ..

في كل مره يأتي المترو يكون أكثر ازدحاما .. وقد تأخر ابنه كعادته ، انتابته رغبة في الفرار . لكن إلى اين؟ الضجيج يسبب له الجنون ، نظر إلى ساعته للمرة العشرين في خمس دقائق .. اليوم ميعادهم لمقابلة صديق قديم يعمل في مركز مرموق بالحكومة ليساعد ابنه في الحصول على عمل بعد أن أنهي تعليمه ، وأنهى خدمة الجيش ، وله عامين يعمل بأعمال متنوعة.. بمبالغ زهيدة .. تنهد بملل. ما هذا الزحام لو أن الأرض اهتزت وابتلعت نصف هذا الجمع .. أو لو تحول الأشخاص إلى أشجار ستكون أكثر

فائدة .. حتى يستطيع أن يتنفس فهو يشعر بالإختناق كأنما الأوكسجين يقل ويختفى من الهواء.. وتلفت حوله عسى أن يرى ابنه ... انه استأذن من عمله بشق الأنفس... مديره رجل روتيني بيروقراطي إلى أقصى درجة.. استفاق على صوت ابنه : آسف أبى الطرق مزدحمة. .

نظر له بغضب ولم يتكلم ... وقفا ينتظرا المترو.. جاء مزدحما.. ركب وتعتمل بداخله مشاعر متضاربة رائحة الاشخاص ، اجساد وانفاس مزعجة ،

تنهد في صمت حتى القلق والضيق والملل له رائحة نتنة .. وصدى صوت أنفاس الناس المتلاحقة يصك أذنه بعنف.. وصلوا متأخرين ، واستقبلهم صديقه ، وتحدث معهم ، ووعد ان يوفر له عملا في القريب العاجل بنفس مصلحة أبيه الحكومية إن شاء لله ، وخرج الإبن يتكلم ، ويحلم ، والأب يفكر .

مسكين !! ستكون مثلى ، تدخل الحياة كلك أمل ، وتخرج منها خالي الوفاض !! ، إلا من بعض أحلام وذكريات وآمال محطمة .. أبى ما بالك ؟! الست سعيد؟! ...

بالعكس ولكنى كنت اتمنى أن تعمل أعمالا حرة وتنجح فيها فلها مستقبل أفضل ..

ربما أبى ، ولكن الوضع الراهن لا يساعد على هذا وكذلك كلى أمل أن أوفر بعض المال لأبدأ مشروعا صغيرا بجانب الوظيفة .. ابتسم سرا ، هاهو ذا يعيش الحياة مكررة مغلفة بالوهم ، وبداية لأحلام محطمة .

وصلوا البيت ، وكانت تنتظره زوجته ، واندفع ابنه يحكى ، ونظر لها وقد ارتسم على وجهها بسمة أمل ،

وفكر يا ترى ماهي افكارها ؟! هل كان لها آمال محطمة؟ هل كانت تحلم بزوج يحقق لها الكثير ؟! .. يا لتلك البسمة!! هل تشعر بالسعادة؟! لا يعرف فكل حديثهم عن البيت، المصاريف ، والغلاء ، حتى حين يتذمر كانت تهدئ من روعه ، وقد كانت بارعة في التوفير والجمعيات التي يعيش عليها أغلب البيوت . ولكنها نجحت في فرش المنزل وتوفير مستلزمات ابنهم الوحيد .. وشعر بألم في جميع أنحاء جسمه.. وفكر بخمول ... ألم الحياة يفوق بهجتها.. سألته زوجته ألا تشاهد الأخبار؟ ... قال لقد ملت نفسي كل تلك الأخبار الكئيبة ، والضمائر المريضة ، والنفوس المعتلة

،نظرت له باستغراب: ما هذا الكلام الغريب ، تركهم ليدخل حجرته ليرتاح.. سألته زوجته ما بالك هل أنت مريض؟ هز رأسه كأنه لا يستطيع الكلام وحين تأخر على موعد صلاة العشاء دخلت زوجته توقظه .. اكتشفت أنه أسلم روحه وقد ارتسم على وجهه تعبير ما بين ابتسامة ساخرة ، ودمعه متجمدة في ركن عينه كأنها تأبى السقوط .

متسول الحقيقة

قد يكون التسول من أكثر الأشياء وضوحا ، ولكن يحمل بين طياته الكثير من الأسرار, وقد يرى البعض أن قصتي ضرب من الخيال ,, رحت افكر وأنا أتابع قصة متسول شارعنا,,, كانت إقامته الدائمة بمفترق أربع شوارع على ناصية ميدان صغير بالحي الذى أسكن فيه,,, كنا نشاهده يجمع الكرتون ويحيط به نفسه ويرتدى بذله واسعة قديمة,,, أصبح وجوده بيننا من ظواهر المنطقة حتى إذا غاب يوما نشعر بالقلق ,,

كان الشباب يجلسون بجانبه على الرصيف يتسامرون ,,, ولكنه لم يكن ينطق بكلمة,,, مر عليه بيننا قرابة الثلاث سنوات,,, وذات يوم دهمته سيارة بعد صلاة الفجر ومات قبل أن يتم نقله للمشفى ,,, ونقل إلى مشرحة المستشفى العام ,,, واتفق أهل الحى أن يدفنوه بمقابر الصدقات,,, واقترح أحدهم ان يبحثوا بأغراضه علهم يعثرون على عنوان او اهل ,,, واكتشفوا بداخل أغراضه بطاقة تحمل

صورته وكانت أكثر وضوحا ووجهه أكثر إشراقا والأغرب ما كتب بها,,, أستاذ جامعي في كلية مرموقة,,, أما العنوان فكان في منطقة راقية,,, اتفقوا أن يذهب اثنان منهم إلى العنوان المكتوب وكان منهم أخي ,,, وعاد حزينا وراح يقص حكايته بصوت حزين وقلب ملؤه الألم،

قال : وصلنا وكان ولابد من الإستئذان قبل الصعود ,,, سألنا عن إسمه او أحد من أسرته,,, ولم يكن هناك إلا ابنته, فطلبنا مقابلتها وخبرناها أننا نعرف أخبارا عن والدها,,, ويبدو أنها كانت قلقه ووافقت على الفور على المقابلة ,, واستقبلنا رجل كبير في السن واصطحبنا إلى ردها واسعة وكانت تجلس فتاه في أواخر العشرينات بوجه جميل برغم مسحة الألم والحزن,,, واعتذرنا منها ,,, وسألناها عن والدها فأخبرتنا إنه غائب من فتره فأخبرناها بحكايتنا وقصة متسولنا ,, راحت تبكى بلا صوت بشهقات تقطع نياط القلوب ,, ولم نقو على الحراك أو الكلام واعتذرت منا... بصوت حزين قالت ... قصتنا أقرب إلى الخيال برغم واقعيتها,,

والدى كان دكتور ناجح وكنا أنا وأخى التوأم طلاب معه في كليته وقد تعلمنا منه المثل العليا وحرية التعبير ,, قبل

25 يناير انضممنا إلى الكثير من الشباب الحالمين بالتغير,,,
وقد كان بيننا وبين والدى جدالا دائما... نحن نرى أن سبب
تردى الأوضاع وسوء الأخلاق الفقر وهو مقتنع أن هناك
أسبابا أخرى في المجتمع ,,, إذا كان الفقر فلماذا في بعض
الدول المتقدمة او الغنية توجد جرائم قتل ، وسرقة ،
وانتحار ، واغتصاب !!

وانحلال أخلاقي ,,, وكان ينتهى النقاش دائما بلا
نتيجة ,, بمرور الوقت أصبح يناصر قضيتنا عن اقتناع,,
وانتفض الشباب ثم أصبحت انتفاضة شعب,, ورحنا نمتطى
موجة الإنتفاضة وكانت أيامنا تتوالى ما بين كر، وفر،

وكان يجلس معنا في بعض الأيام في الميدان وتتابعت
الأحداث، وزادت الفوضى التي تعم البلاد عادة بعد أي ثورة
غير منظمه وبلا زعيم ، وذات يوم بعد نقاش حاد قرر والدى
أنه سوف يقوم ببحث ميداني في بعض المناطق المتوسطة
والفقيرة ... كانت فكرته (المتسول الشيك) يملك بدلة قديمة
كأنه من أصابه العسر بعد اليسر,,, واختار منطقة ولم
يخبرنا أين، وبدأ في كتابة أطروحته واستمر هذا الوضع
شهورا كان يخرج لساعات ويعود وقد مر على الثورة أكثر
من عام,, كان يحلم بأن يؤرخ للأجيال القادمة قصة شعب

وأسباب ثورة,, وبلا مقدمات أصيب اخي في خضم الأحداث وقتل وأصابت والدى حالة من الإكتئاب، وعادت تتدفق الدموع مره أخرى بغزارة كأنها ينبوع لا يجف ، وبعيون لا ترى من حولها تنظر وكأنها تخترقنا بنظرتها إلى عالم بعيد وتعيش الماضي مره أخرى ...

راحت تتحدث بصوت عميق ... قد أصيب والدى بحاله من الإكتئاب وأصبح لا يأتي للمنزل إلا على فترات أما أنا فقد انخرطت في النشاط الثوري حتى آصبت وأصبحت قعيدة ولم أر والدى منذ شهرين وأبلغت الشرطة وسألت الجميع... ؟ وطلبت أن نساعدها في استلام جسده ودفنه بمقابر الأسرة وقد كان... وقد سمحت لنا أن نقرأ أطروحته وهي تعد حجة ودراسة لحال المجتمع ولابد أن تدرس فهي تفند أسباب تردى أوضاع المجتمع وقد قررت أن تنشرها في كتاب لتخلد بها ذكرى والدها، تلك كانت قصة متسول لم يكن متسولا ولكنه كان إنسانا يتسول المعرفة ويبحث عن الحقيقة في عالم فقد القدرة

على الفهم والتفاهم.

كلنا في المصائب بشر

ما أصعب أن يحول البشر الأرض إلى حفرة من الجحيم مملوءة بأوحال أفعالهم يغوصون فيها بلا خجل أو شعور بالإشمئزاز فهي منهم يشعرون فيها بملمس الحرير.. يسحقون المدن تحت جحيم نيرانهم مشمئزين من النقد البناء ... فما أقسى الشياطين من البشر... لقد تعلمت بالفعل أن كيد الشيطان ضعيف وكيد الإنسان يورثنا الفناء..

هناك على أطلال مدينته وقف ذلك الشيخ الفاني ينظر إليها بعد أن تحولت مبانيها الشاهقة إلى مقبرة كبيرة ... متسائلا هل تحولنا إلى(بومبي) إلى (سدوم وعامورة) أي ذنب اقترف ساكنيها؟ هل ارتكبوا خطيئة الأولين والآخرين؟ ... أهذا بلاء أم ابتلاء ... أه يا عين ما عدت كما الماضي ... لا تستطيعين البكاء ... جفت المآقي كأنما هي صحراء جرداء ... وبخلت علينا بمائها السماء..

آفاق على لمسة ناعمة إنه الطفل الصغير الذي أنقذه من تحت الركام من أسابيع ... لا يعرف كم عمره خمس أو

ست سنوات الله أعلم... ولا يعرف كم عاش تحت الركام ... لكنه سمع ذات صباح وهو يتجول بين الأطلال باحثاً عن شيء يقتات به أو يستفيد منه ...

سمع بكاء متقطعاً متهالكًا ... نظر حوله عله يجد المساعدة من أحد ولكن لا أحد ... وبكل جهده حرك بعض الحجارة فرأى هذا الطفل الهزيل حمله وذهب به إلى منزله المهدم وراح يداوى جروحه التي لا تعد شيئا بالنسبة لسقوط منزله على رأسه..

ويحدث نفسه ... سبحان الله أعطاني عمراً ونجاني من جحيم القنابل ومن براثن البشر..

تناول الطفل الطعام بنهم.. ولم يكن يجيب على أي سؤال وله خمس أيام على هذ الحال ... واليوم سيذهب إلى منطقته مرة أخرى عله يعثر على أحد يعرف له أهلا..

وصل عند الظهيرة ووقفا على أطلال المنزل والمنازل المجاورة وكان المنظر على امتداد البصر صحراء جرداء عدا تلك الأكوام من الحجارة التي شكلتها المنازل المنهارة وبقايا من البشر، فتحولت الحياة إلى موت والنهار إلى ليل

يغلفه غبار القنابل .... آه يا قلبي الحزين متى تعود الحياة هنا ....

وانتبه على صوت بعض من الحجارة وهي تتحرك وتتساقط

دقق النظر ولكن الرؤيا مشوشة غير واضحة لقد فقد نظارته وما وجد البديل عنها ... تحرك مقترباً بهدوء ... إنها امرأة شابة كانت تقف أمام منزل مجاور وتفرد ذراعيها لأقصى درجه وقد تقلصت أصابعها كأنها تحتضن تلك الحجارة المنهارة وتبكي بحرقة وتغمغم بكلمات غير مفهومة... لا أعرف هل هي حالة من الهستيريا أم أنها تحدث نفسها ؟! ..

امسك يد الصغير وتوجه اليها ووقف يراقبها متسمرا في مكانه لا هي توقفت عن البكاء ولا هو استطاع الاقتراب... حتى انهارت مكانها وسكنت تماما كأنها اصبحت جثة هامدة...

جلس بجنابها هو والصغير ثم أشار للصغير أن يلمس وجهها فهو يعلم أن يد الطفل ببراءتها هي ترياق للحزن ... لمسها فانتفضت انتفاضة الطير الذبيح ورفعت وجهها ونظرت إليه ثم للصغير واستمرت تحدق بهما ثم هزت

رأسها ونهضت بتكاسل ... وكانت تتمتع بوجه دقيق الملامح إلا عينيها كانتا كبيرتين بلون غريب كأنه بلون السماء الغائمة.. وتهدل شعرها فغطى جزء من وجهها وتعفر بالتراب وقد كان على طوله يغطى جزء منها كأنه رداء... امسك بيدها ليساعدها للوقوف ... ثم اجلسها بجانب الصغير ... لم تعترض.. جلس ممعنا النظر منتظرا أن تتكلم ...

سألها.. حدثيني يا ابنتي ... فأجابت ... كان ابني وامئ في هذا المنزل.. اعمل واعيلهم بعد أن فقدت الزوج والاب والاخ.. واليوم موعد زيارتي وها أنا ذا اجدهم قد تبخروا لماذا لم أكن معهم..

- **كم كان عمر ابنك؟**
- **عشر سنوات ... انجبته وانا ادرس...**

واسترسلت قائلة: كان ابني وصديقي وكل ما بقي لي هو وأمي..

واتممت دراستي وكنت أعيش مع أسرتي وأعمل في شركة صغيرة بمرتب محترم، وزوجي يعمل في محله الصغير للأجهزة ، لكن مات الزوج ، وتبعه الأخ ، واصيب الاب ولم أجد موردا، وبعد اسابيع مات الاب متأثرا بجراحه ولم أجد له الدواء.. ولم يبقى لي سوى الأم والإبن، وها أنا

ذا فقدتهم كذلك ... عملي ما كان يسمح لي بالبقاء معهم ... وأجهشت بالبكاء مرة أخرى....

- **ما هو عملك؟؟**

راحت تضحك بصوت مرتفع هستيري... ثم صمتت.. وابتسمت ابتسامة أقرب الى ابتسامة الموناليزا ... وقالت:

- **اعمل أقدم مهنه امتهنتها المرأة في التاريخ**
- **ماذا؟**
- **نعم ... ألم تفهم؟ أعمل بائعة الهوى ...**
- **كيف؟**
- **فشلت في ان أجد من يحترم آدميتي، مع مرض الأم وعجزها وجوع الصغير وصراخه ... تموت الحرة ولا تآكل بثديها ...لا اعرف كيف أتتني الجرأة على قول موعظة في موقف كهذا ...**
- **لمّ تغضبْ ... نظرت إليه بازدراء.. إذن أخبرني أيها الحر.. ماذا أخبروك عن الحرة حين يموت طفلها بين ذراعيها جوعا ومرضا هل أتركه يموت؟ وماذا عن أمي وهي عاجزة... أخبرني عن تلك الشعارات حين تتهاوى بين يدي أجسادهم وينحل من الجوع عودهم.. ماذا لم أسمع إجابتك؟ ...**

لم يجد الشيخ إجابة ولا يدري ما يقول ... واطرق برأسه قليلا ثم قال:

- دعكِ مني فانا عجوز طحنته السنين.. هلمي معي لا أظنك ستعودين لعملك بعد الآن؟

تبعته محطمة ولم تعترض ... يسيرون متعثرين، وقد اخذ على نفسه عهدا أن يرعى الطفل الصغير والمرأة المحطمة ... وهو الكهل المتهالك البدن وهو من يحتاج لمن يرعاه

وصلوا إلى أطلال منزلٍ شبه منهار وقال: هذا هو بيتي

نظرت إليه قائلة: ما هذا أين تعيش تلك جداران بلا أبواب وبلا شبابيك وحتى السقف لا يحميه..

أجابها الشيخ:

- ابنتي هلمي ولا تحكمي بالمظاهر

وأشار لها، إرفعِي هذا معي..

- ما هذا؟ ما كل تلك الأخشاب؟
- لا ... إنظري.. ثم مد يده وأمسك بقطعة صغيرة تشبه مقبض الباب ورفعها، فارتفعت تلك الأخشاب بيسر... لقد كانت غطاء لباب سفلي.. نزلوا، وأعاد الباب وأغلقه من الداخل...

نظرت المرأة بتعجب وباستغراب فقال لها:

- عندما بدأت الحرب أعددته أنا وابني للأسرة وكانت زوجتي وزوجته والأولاد يعيشون هنا واستمرينا سنوات حتى كان يوم خرجنا بعد أن هدأ القصف، وكنت مرهقا فغفوت، وخرج الأولاد في المساء ولسخرية القدر، عبث الأطفال بشيء لا أعلم ما هو... انفجر فيهم وماتوا الا ابني، فقد بترت ساقه وذراعه فانظري إلى حالي خمس أحفاد وزوجة، وزوجة ابن وهي ابنة اخي، وابن معوق..
أدخلي فقد رزقني الله أمس ببعض الطعام...

نظرت المرأة وقالت: أين ابنك؟

- سيظهر عن قريب فله قصه مختلفة والآن اجلسي هنا حتى أحضر بعض الطعام لك وللطفل وحاولي أن تتحدثي معه عله يتحدث فمنذ وجدته لم يتحدث معي ...

جلس يراقبهم وهم يأكلون، سبحانه وتعالى، إنه يسبب الأسباب، تلك النظرة الراضية على وجه المرأة ونظرة الحيرة الممزوجة بالسعادة على وجه الطفل وهي تطعمه..

شعر بنبضة مضطربة في قلبه... نعم هي نبضة السعادة التي لم يشعر بها من سنوات، والغريب أنها آلمته، كأنما السعادة أصبحت داء لا ترياق لها في زمن الضياع ...

سمعت المرأة طرقة خفيفة على الباب وحركة المزلاج..

ثم دخل ابنه ببطء وهو يحمل حقيبة على ظهره... نظر حوله وعبس قائلا: - ألا ننتهي كل يوم تحضر لنا اشخاصا جدد نتخلص من شخص تأتي بغيره انتفضت علياء نعم اسمها علياء وقد أغفل عن ذكره... وأشار لها الشيخ

أن اهدئي، فهدأت.. ثم قال لابنه:

- **ماذا يا بني كلنا في المصاب بشر فاهدأ ... وأخبرني اين كنت؟ لي اسبوعا لم أرك؟**

لم يجب ودخل من باب صغير واغلقه خلفه بهدوء قاتل ...

نظرت له علياء متسائلة فأشار لها لننتقل للجهة الأخرى وتحركت بهدوء حاملة الطفل بين ذراعيها تضمه وتهدده وقد غفى مستسلما للنوم...

كم هي غريبة هذه الحياة برغم ما هي فيه من مأساة تفاعلت مع ما تراه ، كأنما لقاءنا كان لغاية وغرض من الخالق سبحانه فبرغم مصابها عاشت بإحساس الأمومة..

أحضر لها كوبا من الشاي واستطرد قائلا:

- إبني كان ضابطا في الجيش في سلاح المهندسين وكان بارعا في عمله متخصصا في صنع الأجهزة ، ورياضيا من الدرجة الأولى يعشق حمل الاثقال وهذا المكان الذي نجلس فيه كان يعده إبني مكانا للرياضة له ولأصدقائه وكان يكمل توسيعه لتحويله لنادى رياضي وكأنما القدر أراد ان يعده لنا مخبأ او منفذا حتى لا نهرب من البلد مثل من هرب لعدم وجود مكان او ملجأ ...

وعندما بدأت الحرب واصبح القصف عشوائيا واصبحنا بين فكي الرحى، سلطة شرعية وأخرى غير شرعية يسعون لبسط نفوذهم على مناطق التماس ونحن من تلك المناطق وها أنت ترين النتائج..

اما إبني فلم يُصَب في الجيش، انت سمعت قصتنا.. بترت ساقه اليمنى وبتر ذراعه الأيسر.. وتهدم جزء كبير من المنزل فتصوري سخرية القدر.. إبني في الجيش لعامين ولم يصب بخدش ومنزلنا في وسط القصف لم يسقط منه حجر. وكأنما احتفظ لنا القدر بما هو أقسى من الجميع وكما يقول المثل، كلنا في الهم سواء..

لو تعرفين كم بكيت ، وكم فقدت الرغبة في الحياة ولكنى بقيت اداوي ابنى، احضرت له طبيبا من اصدقائنا عالج مكان

البتر، ولكن ابنى اصبح بحالة من الاكتئاب، ولكنه تخلص من هذا بعد فترة وتحول الى كائن متحرك بلا روح..

وراح إبني يجتهد حتى صنع لنفسه ساقا ويدا بمساعدة بعض أصدقائه..

ربما ليسو جيدين ولكنه أعاد لهما القدرة على الحركة.. لا يهدأ ابدا.. فلم يخرج من الجيش إلا بالإسم فقط، لا اعرف ماذا يصنع ولكنه دائما صامتا غاضبا يخرج لأسابيع ولا أعرف اين يذهب...

نظرت إليه علياء قائلة ... أعانك الله لا أعرف ماذا اقول كلنا في المصائب بشر كما أخبرتني سأذهب الآن..

لا ... هذا لن يحدث ابداً، ابق معنا فانت تحتاجين لنا كما نحتاج لك وكذلك هذا الطفل بحاجة لك ...

انتبهت له.. ونظرت إلى الطفل وضمته بحنان دافق.. تحرك قلبها رغم ما عانى ذلك القلب من الم ورغم مأساتها، انها عاطفة الامومة وحنانها التي تلين الحجر.. ابتسم الشيخ وقال: احمليه ادخل به خلف الستار ضعيه على السرير نامي بجانبه.. فإن للصباح قصة أخرى ...

دخلت بلا نقاش.. كأنما الفت الحرب بين قلوب من تصيبهم المصائب..

لا أعرف ولكن للحياة حكمتها وقصصها التي تدهشنا وتفاجئنا دائما ...

كابوس

ما أصعب أن نعيش في دائرة من الألم ، لا نجد منها فرارا او مخرجا..

استيقظت وقد بللها العرق ، وذلك الكابوس القاسي يسحقها .. لماذا هناك كوابيس تطاردنا طوال الحياة ؟ وقد تصبح زائرا لا ينقطع حتى أننا نفتقدها برغم الألم ، كثيرا ما نسأل متى تنتهي هذه الكوابيس؟ فقلبي لم يعد يحتمل هذا السيل الجارف من الألم..

استفاقت من شرودها على صوت رنين الهاتف وقد صاحبه صوت الآذان

نظرت للهاتف ووجدت أنه أخيها إبراهيم.. انقطع الرنين ثم عاد مرة اخرى.. وردت بصوت مرهق

- نعم إبراهيم ماذا هناك؟ فلم تشرق الشمس بعد ، هل أصاب أحدكم مكروه؟



- صباح الخير فاطمة.. لا ولكن أخانا علي، توفاه الله..

ولم تجب...

فاطمة اتسمعينني؟

أجابت بصوت واهن: نعم سمعتك .. ماذا تريد ؟

أجابها بتردد ..أريد منك الحضور لتوديعه فقد كان طلبه الأخير وهو على فراش الموت أن يراك ولكنكِ رفضتِ برغم مرضه واليوم أطلب منكِ أن تسامحيه قبل أن نوسده الثرى ...

- لا أستطيع الحضور ..

- فاطمة وهذا رجاء خاص منى لكِ

وبعد صمت طويل أجابت بتردد: حسنا ..سأتواجد في العاشرة ..

أغلقت الهاتف وجلست متقوقعة على فراشها واكتشفت أن جسدها ينتفض كالطير الذبيح ..

وراحت تعصف بها الأفكار... لا لن أذهب لا استطيع أن أنظر إلى هذا الوجه بعد كل تلك السنوات ... أكثر من ثلاثين عام لم أره إلا في الكوابيس ...

ولكن إكراما لإبراهيم يجب أن أذهب ..

وقبل الميعاد بنصف ساعة أصبحت جاهزة ... ركبت سيارتها وصلت بعد العاشرة وجدت أخاها ينتظرها أمام البيت ... وقد عم الصمت بينهم ودخلت على أخيها إلى الحجرة بمفردهما..

رفع الغطاء عن وجهه وقفت تنظر بقلب مكلوم ولم تتخيل إن هذا سيكون شكله وقد عبث به الزمان وأصبح أقرب إلى الهيكل العظمى ..

وتنهدت بصوت مسموع وعادت تنظر إلى وجهه ..

وتمتمت بصوت هامس ..

- قد سامحتك علي ...

أرجو ان يغفر الله لك... التفتت إلى أخيها إبراهيم

- أشكرك لإنك صممت على حضوري اليوم قد تخلصت من شبح الماضي بعد أن ظل يطاردني كل تلك السنوات ... وخرجت من الحجرة إلى باب الشقة..

لحقتها زوجة أخيها لمَ العجلة؟ عليك البقاء ... ولكنها إعتذرت..

وركبت سيارتها ولم تستطع العودة لوحدتها في المنزل جلست في كافيتريا على النيل وكان شهر يناير ببرودته ورائحة مطر الأمس تعطر الجو وتبعث على الأمل..

طلبت فنجانا من القهوة وراحت تراقب قوارب الصيد وهي تهتز في إيقاع ثابت على صفحة النيل يهدهدها كما تهدهد الام وليدها ..

- آه لو أن حياتي كانت بتلك الرتابة والسكون ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه...

وراحت تسترجع حياتها فقد كانت حتى سن الثامنة طفلة سعيدة تلهو تلعب .. وكان لها اخا في السادسة والعشرين وأخا في العشرين وقد انجبتها امها بعد ان تخطت الاربعين بثلاثة أعوام ..

وكانت تعتبر غلطة أمها ونعمة لأبيها ... طفلته المدللة .

تتذكر رائحة عطره واستنشقت الهواء بعمق فتسلل الى داخلها ناعم كتلك النسمة التي تحيط بها ..

ذكرها بقبلة أبيها على خدها كل صباح... حتى كانت تلك الساعة المشؤمة التي حولت حياتهم إلى جحيم...

يوم اتصلوا بوالدها في العمل أخبروه أن ابنته في حالة خطيرة وتم نقلها إلى المستشفى ... تخيل أبوها كل الأشياء حادث سيارة أو سقوط من السلم ..

ولن أنسى ما حيت وجه أبى يوم أخبره بكل شيء..

وأخبره الطبيب أنها تعرضت لاعتداء جسدي و تعرضت لكسور بأجزاء متفرقة من جسدها الصغير ... وستأخذ وقت طويل حتى تتعافى.. وهناك أمر آخر ..

والتفت أبوها إلى الطبيب ماذا هناك؟

همس الطبيب في أذنه بكلمات واستمعت له ..

هو يسأله هل تريد الإبلاغ؟

واكفهر وجه أبيها وكأنما أصبح بلون الطمى الذي تلهو به في الحقول وجلس على الكرسي المجاور للسرير وراح يستعذ بالله..

وسأله الطبيب كيف يحدث هذا؟

أليس لك زوجة في البيت؟ ألم تلاحظ أي شيء؟

لابد من إبلاغ الشرطة ..

وسمعت صوت أبيها منخفضا وكأنه يأتي من واد سحيق ... ليّ رجاء ..

فلتبلغ عن حادثة الضرب ... أما الثانية فلا ، فكفاني ما أنا فيه رجاء ... ولكني أعدك أن يسجن ويعاقب على أذيتها وادمانه وإن أبعدها عنه نهائيا .. أرجوك فأنت تعرف كيف يفكر الناس وتعرف أين نعيش ..

خرج الطبيب بعد أن وعده والتفت أبي يسألني لماذا لم تخبريني؟

لم أجب ... ماذا أقول هل أخبره أن أمي حذرتني من أن أخبر أحدا ...قائلة : إذا عرف أبوك قد يقتل أخيك.. حاولت

أن تبعدني عنه ... ولكنه كان يدخل غرفتي في الليل بعد أن ينام الجميع ... كان يأتي متأخرا وهو يتمايل من المخدرات غير واع لأي شيء .. وفضلت الصمت حتى البكاء لم استطعه ، لمسني أبى فانتفضت فأغمض عينيه ولم يستطع التنفس كأن الهواء قد احتبس في صدره.. وهمس ... آسف صغيرتي لم أفهم يوم كنت تأتين لي باكية وتصممين على النوم بجانبي طوال الليل..

وراح يبكي ودخلت أمي جلست جانبها باكية وانفجر الأب لماذا تبكين ألم تعرفي ما يحدث في بيتك..

وتحت ضغط الأب اعترفت الأم أن ابنها المدمن حاول أن يأخذ منها بعض النقود ودفعها بعنف ولكن فاطمة دافعت عنها فما كان منه إلا أن دفعها بقوه فسقطت وحين راحت تصرخ بلا تفكير دفعها من باب الشقة فسقطت على السلالم وراحت تقسم على زوجها ألا يبلغ الشرطة عنه أنه مريض مدمن ... نظر لها الأب بأسى أتظنينني أتحدث عن حادث الضرب ؟! أنت تعرفين عن ماذا أتحدث ...

لم تجب وقد نظرت للأرض وراحت تجادله مبررة أفعال ابنها علي ..

- إنه مدمن والإدمان يذهب بعقله ولكن حين يستفيق يصبح إنسانا جيدا ... صبرا فقط يحتاج إلى علاج ..

نظر بأسى وانتفض بغضب ... لقد اكتفيت ... المال والتطاول ... وقد تحملته أما ما يحدث مع فاطمة فلا وألف لا فقد حاولت معه بكل الطرق..

والتفت لي ... لماذا لم تخبريني لماذا اكتفيت بالبكاء؟ ... وحين أبلغ الطبيب عن حادث الضرب وشهد أبوها ... ثارت أمها... إنه ابنها الكبير سندها... كثيرا ما جلست أفكر ... أي سند هذا الذي تتكلم عنه تلك ؟! ..

إنه عار استهلكهم ماديا والآن يمارس العنف على أمه وتسامحه ... ثم ما ذنب تلك الصغيرة..

وتم القبض عليه وكانت قضية وحكم عليه بسنوات من السجن لاعتدائه على أخته بالضرب ولإدمانه....

ولأنهم كانوا في الريف فقد أصبحوا مضغة في الأفواه ما بين شامت وناقم على الأب كأنه أجرم لأنه أبلغ على ابنه لماذا لا يفهمون ألم يفهموا أن للقضية بعدا آخر ؟! ... ولكننا في مجتمع يقول مالا يفعل ويفعل ما يخالف أقواله.. فلن

يقول لهم إنه ينقذ ابنته وزوجته وغيرهم من الناس.. فلماذا هذا النظرة القاصرة ؟! .. وصمم الأب أن يترك البلد ويذهب للمدينة ..

وصممت أمي على الطلاق ورفضت الرحيل..

والغريب أن أمي لم تحاول رؤيتي.. برغم أن هذا الحادث أثر في أكثر من الجميع فقد تحطمت نفسيتي واكتأبت روحي .. والأهم خضعت للعلاج أكثر من عام من عمليات ومسامير حتى تعافيت..

أما أخي إبراهيم فقد كان همزة الوصل التي لم تنقطع بيننا وبين أمي وكان نعم الأخ ..

سافر إبراهيم للعمل بالخارج فقد كان حزينا من أمي وتصرفاتها وحبها غير المشروط لهذا الأخ العاق ..

وبعد أن توفى أبى وكنت قد أنهيت دراستي الثانوية.. صمم إبراهيم أن أسافر لاستكمال تعليمي معه ونحن في الخارج أرسلت أمي لأخي لتعلمه بان على خرج من السجن وتطلب منه بعض المال ليساعده على بدء عمل جديد وقد كان ... ولم تسأل عنى أيضا فقد كانت مقتنعة إنى السبب في تفكيك

شمل الأسرة مع اعتقاد راسخ إنى من أخبرت أبى عما حدث ... فكرت أن أخبرها أنى لم أخبر أحدا عن أفعاله.. فقد اكتشفها الطبيب بنفسه ... توفيت أمي قبل أن نعود للقاهرة .. ولم أستطع سؤالها لماذا لما تحاول حتى أن تسألني ...

نجحت في حياتي والحمد لله وأصبحت أعمل بمركز جيد واكسب الكثير ولى شقة رائعة ولكنى وحيدة فلم أستطع الزواج بعد أن أصبحت أخشى أي علاقة مع الطرف الآخر.. ما أصعب ان اعيش وقد اصبحت مستهلكة نفسيا ..

واليوم قد اكتشفت إنى عكس كل الناس لم يكن كابوسي حلما استيقظ منه في الصباح بل كان حلما أعيشه منذ سنوات واليوم تخلصت من هذا الكابوس...

اليوم استيقظت ...

واتمنى أن اشفى من ندوب النفس كما شفيت من ندوب البدن

وخرجت أسيرعلى ضفاف النيل واستنشق الهواء المحمل بالأمل ...

فى المهد عروسة

هناك قوانين وضعية ، وهناك قوانين سماوية، والكارثة عندما يتلاعب البشر بالقوانين السماوية لتناسب أهدافهم وأطماعهم وتطلعاتهم التي لا مبرر لها إلا الغباء ، والإلتواء، لذلك تعلمت أن ... أشاهد وأتابع بلا دموع ولا تنهدات.. فقط أكتب عن ، ومن الحياة .. وتلك قصة من الريف في القرن الحادى والعشرين وكل ما فيها حدث ويحدث وسيحدث

حين انطلقت الزغاريد وانتشرت في الأجواء رائحة السعادة ولبس الكون رداء الأفراح وكان أكثرهم سعادة الأم والأب ... فاليوم فرح ابنتهم الوحيدة إكرام ... أول العنقود وآخره كما كان يقول أبوها...

منذ ولادتها.. اشترت لها الأم كل ما تشتهى الأنفس وما جمعته لها يكفى لزيجتين... وكان من أسوأ العادات والبدع

أن يشتروا من كل الأجهزة الكهربائية إثنين أو ثلاث والصيني وغيره ..

قد يبيع الأب ارضه حتى يجاري المجتمع في عاداته البلهاء...

ولكنها الآن قد بلغت الخامسة عشر ... تقدم لهم جارهم ليزوجها لإبنه البكر والذي تخطى العشرين ...

قرر الأهل تزويجهما ... وهي لم تبلغ السن القانوني للزواج بعد .. وأخبرهم مأذون القرية أن تلك لم تكن مشكلة..

اتفقوا أن يكون الزفاف في بداية شهر اكتوبر.. حتى يتم العريس الحادى والعشرين ويتم جمع المحصول.. . و بما أن الزواج قوامه الإشهار فقد تقرر أن يكون الزواج عرفيا وبعد أن تكمل الثامنة عشر كما هي عادة بعض الأسر يكتب الكتاب القانوني...

اليوم العرس بكل ما فيه من أبهة وعظمة وترف مُبالغ فيه وقد تزينت القرية والأم والأب ..

كانت إكرام شاردة ، حائرة ما بين فرح وقلق، واستفاقت على صوت أمها

ما بالكم يا بنات؟ إن ابنتي جميله لا تحتاج إلى كل تلك التجهيزات

وخرجت تختال فرحا بردائها الأبيض ، قد كانت صغيرة رقيقة تشبه الملائكة ، تربت على الدلال ، فهي وحيدة أبويها

جلست تبتسم برضى وسعادة كقطة متخمة ...

وجلست صديقتها تخبرها إنها ستقرصها في ركبتها حتى تدركها في جمعتها فعريسك أروع شباب القرية ...

وكان فرحا مهيبا مكلفا ، حضره أهل القرية وقد أنفقوا على العرس الكثير.. من الطعام ... للرقص والغناء ...

وسرعان ما تمر الأيام وسافر العريس للعمل بالخارج وترك الطفلة حاملا بطفلها الأول ... وطلبت إكرام من عريسها أن يأذن لها أن تقيم مع والديها حتى يعود فرفضت حماتها ورفض العريس وسافر بشرط ان تقيم مع والدته .... ونسيت أمه أنها صغيرة ولم تفكر فيها على أنها ابنتها ..

وسرعان ما اشتعلت الخلافات بين الصغيرة المدللة والتي لم تتخلص بعد من عادات الطفولة وحماتها التي كانت تعتبرها خادمة خاصة لها اشتروها بورقة وذلك بحكم الأعراف ..

ولكن الزوجة رفضت الخضوع.. وتركت المنزل مطرودة.. وكانت في شهرها السابع ... اتصل زوجها بها واشترط أن تعود لأمه خاضعة وأن تعتذر لها فرفضت.. واجتمع الكبار للصلح وكما توقعت سمعت عمها الكبير يخبر والدها بوجوب كسر دماغها ... إذ أن الواجب عليها طاعة حماتها حتى لو وضعت رقبتها تحت حذائها (هكذا كان التعبير).. واتسعت الفجوة ..

وجلست تستمع حائرة مضعضعة النفس مذبوحة الكرامة متسائلة في حيرة:

أي ذنب جنيت ؟! حتى أعامل كأني أمة مشتراة.. وأبت أن تعود.. ومرت الأيام بطيئة.. وكان يوم المخاض. وتوقعت أن تنصلح الأحوال ولكن حماتها رفضت كتابة المولود باسم ابنها قائلة: لا يوجد في أوراق الحكومة ما يثبت هذا الزواج ... وأرسلت لابنها لتوغل صدره على عروسته وأهلها وأتت أفعالها بالنتيجة المرجوة، واتصل أهل الزوجة لإخباره بخبر

المولود وأفعال امه.. وصمم على طلبه بالإعتذار من أمه وحدثته إكرام لتفهم ما سبب تصرفه ... ألست أنا زوجتك ؟! عروسك ؟! وام ابنك؟!

فقال: وهي أمي ... وهل طلبت منك أن تعصيها؟

- كنت أحترمها كما أحترم أمي

- هي لم تطلب احترامك. فقط طاعتك.. فقد أمرني الله بطاعتها

- وهل أمرك الله بالظلم ؟

- هي أمك وأنا زوجتك التي لم تعاشرك إلا أشهرا قليلة ، خبرني بصدق ..وتذكر أن الله بيني وبينك ..هل ترتاب في أن ابني هو إبنك؟

- بالتأكيد لا ..

- إذن لماذا؟

وبعد صمت طويل كأنما اكتشف فجأة حقيقة أنها أم إبنه ..ووعدها قائلا : سأحاول أن أتحدث مع أمي ... إعطينى بعض الوقت ...

وكأنما القدر يجيد إعطاء الدروس والبشر لا يجيد التعلم..

ومن عبث الأقدار أن يموت الزوج في حادث في العمل ... وانتظرت أن ينصلح حال حماتها وتأتيها لتضم صغيرها ولكن الأيام تلاحقت ولم يجد جديد ..

وانتهى الموقف في القضاء في قضية نسب ... ووقفت أمام القاضي هي الطفلة التي كانت حتى وقت قريب تلهو بعروستها .. لتطالب بحق طفلها ... وتأجلت القضية للنطق بالحكم ...

وجلست في ساحة الإنتظار تراقب الوجوه نساء منحنيات الظهر برغم الشباب ..وعيون ذابلة من الألم والحزن مع نظرة ضياع ..

وسمعت من الكثير منهم ، قضايا غريبة ، ولكنها لم تعد تتعجب أو تحزن ..

وجاء اليوم الخاص بقضيتها للنطق بالحكم ...

نعم تم إثبات البنوة فالإشهار هو الأساس ... ولكن أي ذنب جنته حتى تتعرض لهذا الظلم ألم يفكر والدها ؟؟ ألم يفكر كبار القرية؟؟

هي تعلم أنهم سيعيدون الكرة ويزوجون أطفالا لأطفال لينجبوا أطفالا ... أين تجد نصيرا أو صاحب عقل رشيد في هذا المجتمع القابع في أعماق بئر الجهل برغم إدعائهم التقدم والإلتزام ...

اكتشفت أنهم لم يتخذوا من الإسلام والحضارة إلا القشور...

حتى القوانين الوضعية لم تستطيع أن تردعهم.. وقوانين السماء لم تهذبهم ... وذات مساء أخبرتها أمها أن والدها لم يتعظ ويفكر في تزويجها للمرة الثانية ولم تتم الثامنة عشر ...

صرخت ماذا؟ أمي ألم يتعلم؟

ضمتها أمها إلى صدرها وقالت: ابنتي يريد لك الستر كذلك حتى لا تلوك سيرتك الألسنة.

- أي ستر فقد أصبحت عارية في وسط الأهل ولم أجد من يسترني من ألسنتهم وأفعالهم ..

- ابنتي أنت صغيره يجب أن تتزوجي

- أمي قد أتزوج يوما ما ولكن لن أتزوج الآن



- سيغضب والدك

- لن أهتم فليغضب كما يشاء ...

انطفأت نار الغضب في داخلها، فالغضب لا يجدى نفعا ...

واستيقظت حكمة الأنثى التي تخشى البشر كما القدر وقررت أن تتخلص من زرع أنبت نبات الحنظل في عقلها ..

سترفض فقد تعلمت الدرس الذى لم يتعلمه الكبار واتخذت قرارها الخاص.. فلن تسمح لهذا المجتمع الكسيح أن يسحلها على طرقات الجهل..

يكفي أنها أنجبت طفلا لهذا المجتمع المتحجر..

نازحون بلا حدود

أقسى أنواع المشاعر هي التي تمس الواقع وتكون عارية من كل زيف.. واضحة، قوية.. تهزنا كالنخل في مهب الريح.. رجاء لا تلوموني لتلك السوداوية.. فبحكم عملي شاهدت الكثير من المآسي التي أرهقت روحي ولكن زادتني إيمانا بالله..

أعمل طبيبة في (منظمة أطباء بلا حدود) .. مهمتنا أن نذهب إلى أماكن الكوارث نساعد الناس نعالج المرضى نداوى الجرحى والكثير من المهام.

اليوم كان ميعاد خروجنا لعرض البحر لمساعدة المهاجرين غير الشرعيين .. تم تجهيز السفينة .. ولم يكن عددنا كبيرا فنحن نحاول ترك أكبر مساحة ممكنه على السفينة .. فالأعداد التي نتوقع إنقاذها قد تصل للعشرات.. خرجنا كما اعتدنا في الصباح الباكر.. كنا بالخريف والغيوم السوداء تغطى السماء وتعانق البحر على امتداد النظر.. رحنا نجوب جوانب البحر الأبيض المتوسط ننتقل من الحدود

المصرية إلى الحدود الليبية ونتساءل متى تنتهي تلك الرحلات غير الشرعية ؟! متى نتخلص من سماسرة الموت ؟! .. فنحن نعرف أن المهاجرين يخرجون بقدر ضئيل من البنزين يسمح لهم فقط بالهروب من حدود بلادهم وبعد أن يختفي الشاطئ يضيعون ..

تقاذفهم الرياح العاتية والأمواج الغاضبة.. حتى وسيلتهم للنجاة هي بوصلة غير دقيقه.. ويحلمون بالوصول إلى الشواطئ الأوربية ولكن الكثير منهم لا يعرفون الطريق .. يغرقون أو يضلون السبيل إلى إحدى الجزر. ها نحن لنا يومان ولم نصادف أي قارب.. ولكن هذا لا يبعث على التفاؤل فربما العواصف منعتهم... فجأة على امتداد البصر شاهدنا قاربا يتحرك بعنف.. ورحنا نقترب منه في حرص وخوف عليه فقد نصطدم به في هذا الجو العاصف.. وشاهدت عدد قليل من الأفراد وقد راحت الرياح تتقاذفنا.. فما بالك بهذا القارب الصغير وقد أصبح كريشة في مهب الريح ..

وفجأة ضربته موجه عاتية وأصبح عاليه سافله.. ألقينا العوامات.. وأصبحت الأجساد تطفو تارة وتختفي تارة أخرى وقد تلقفهم البحر كوحش ضاري حتى وجدنا بعضهم وقد

تعلق بالعوامات.. رحنا نسحبهم وكأنما قرر البحر أن يأخذهم منا ، راح يشدهم للعمق في صراع أزلي بين الطبيعة والبشر واستطعنا سحب طفلين يبدو أن والدهم قد ربطهم بالعوامة رفعناهم بشق الأنفس وقد تشققت أيدينا ونحن نسحب باستماتة.. ورفعنا سيدة في الثلاثينات يبدو أنها الأم وكانت في غيبوبة وطفقنا نحاول إنعاشها.. وهناك على البعد جسد مستسلم لعبث الطبيعة..

لا نعرف إلى متى يستمر في الطفو قبل أن يبتلعه البحر. وتبرع أحد الرجال للنزول .. أحكمنا وثاقه.. راح يسبح ليصل إلى تلك الأجساد الطافيه وأول ما صادف سيدة كبيرة فربطها بالعوامة وهو لا يعرف هل هي على قيد الحياة ام لا.. وصادف رجلا وقد أسلم جسده للبحر بعد أن أنهكه الصراع مع الموج والريح يصارع للوصول إلى جسد طاف لشاب صغير ولكن بلا جدوى ربطنا الرجل ولكنه كان يرفض بقوة ويشير إلى الجسد الطافي وحاول أن يخلع العوامة ولكنه أصبح منهك لا يستطيع المقاومة..

حاول زميلنا أن يصل للشاب وتمكن من الإمساك به ولكنه لم يتمكن من التشبث به فقد انتزعه الموج من بين يديه كوحش ضار التقم ضحيته.. ووجدنا طفلين في القارب

وهو يطفو بهم ويرفعهم تارة ويلقيهم تارة أخرى وقد أحكم وثاقهم في جوانب القارب وقد شارفوا على الهلاك.. أنقذناهم والحمد لله وما زلت أسمع حتى اليوم أصوات حشرجاتهم وأنينهم يصك أذني .. وبعد بحث مضن لم نجد المزيد وقد بذل الأطباء جهودا مضنية لإنقاذهم.. أفاق الرجل ، وأول ما سأل عن الشاب ، -

فهو ابنه الكبير في السابعة عشر من العمر - .. أخبرناه بالحقيقة فانفجر باكيا.. وقد جلست السيدة في الزاوية تبكي بصوت منخفض فقد أنهكتها معاناة الغرق وعرفنا أن الأب والأم وخمسه من الأبناء وأمه العجوز وأخيه واثنين من أبناء اخيه ولم يتبق من المجموعة إلا الأم والأب وثلاثة من الأبناء والجدة ، وكأنما البحر قد اكتفى فقد هدأت الأمواج واصبحت صفحة الماء كالزجاج الناعم .. وراحت تهدهد المركب برفق ..

ووقفت أراقب ظلمات هذا القبر المتحرك ألم يكتف ؟! فهو يبتلع البشر منذ بدء الخليقة.. أه ما أصعب الحياة فكل يوم أستمع إلى قصة جديدة تحمل بين طياتها معاناة حقيقيه لبشر كل جريمتهم أنهم في بؤرة الصراع على السلطة بكل أنواعها..

فهؤلاء عائله هربت من نار الحرب إلى زمهرير البحر كالمستجير من الرمضاء بالنار.. الأم مصرية والأب ليبي وقد أنهكتهم الحرب القبلية وكذلك النزعة العنصرية فكل دولة تحمل الأخرى مسئولية ما يحدث فيها.. ويعزون حالة البلاد الى المؤامرات الخارجية وتجاهلوا الاطماع الداخلية لذلك أخذ زوجته وعائلته وتسلل في جنح الظلام..

اختاروا الهروب إلى الدول الأوروبية لكن انتهى بهم المطاف هنا .. قد تحجرت الدمعة في عيونهم من القهر بعد إن فقدوا الوطن والأبناء وضاعت منهم الطريق وفقدوا الحياة الكريمة حتى الحلم غرق في البحر كما غرق ذويهم .. وأصبح على عاتقنا ان نجد لهم مخيم لنضع تلك العائلة المنكوبة فيه.. وما أصعب تلك المخيمات ففيها الكثير من الماسي والكثير من الكوارث ولكن لهذا حديث لآخر...

نافذة على الجنة

تتشعب الحياة ما بين أمل ، وألم ، ورجاء ، ويأس ، وحين نصل مرحلة اليأس نتساءل هل هناك مهربا من تلك المشاعر؟! ، وحين نشعر بالضياع نستسلم ، والأقسى من ذلك استسلام اليائس لا استسلام الراضي ، وهناك من يقاوم ومن المقاومين الست فتحيه .. هي الزوجة التي أنعم الله عليها بالزوج الصالح والبنين والبنات مع دخل بسيط ولكنها لم تشتك أو تتذمر وكان زوجها يثني على براعتها في التدبير والتوفير... وكانت تسعد بكلماته كأنها ملكت الدنيا وما فيها ... وذات يوم تجمعت الغيوم في سماء حياتها... جاءها خبر وفاة زوجها في حادث سيارة ... كان زوجها يعمل في شركة قطاع خاص بأجر بسيط وبالتالي فإن معاشه قليل لا يسمن ولا يغنى من جوع .. وأعطتها الشركة تعويضاً ضئيلا ... فماذا تصنع ؟! وهي الزوجة التي لا تعرف من الحياة إلا بيتها وتدبير شئونه ... ولديها أربعة من الأبناء... أكبرهم في الخامسة عشر والثاني في الثالثة عشر. أما الثالث في الحادية عشر والصغرى في التاسعة ...

جلست بحجرتها تفكر وقد غلفتها ستائر اليأس وحجبت عنها نور الحياة ... واستفاقت من شرودها على الآذان ... فتوضأت ، وصلت ، وجلست تقرأ القران ، حتى أشرقت الشمس ، فنهضت وأعدت الإفطار لأبنائها ..

ذهبوا الى مدارسهم .. وراحت تراقبهم من النافذة فشاهدت الناس كل يتجه إلى عمله هذا بائع اللبن .. وذاك بعربة الخضار يجرها بنشاط ... وكان هناك في ركن الشارع ماسح الأحذية يقف أمامه البعض لتلميع أحذيتهم .. فجأة واتتها فكرة ... فارتدت عباءتها ونزلت للشارع وسألت ماسح الأحذية ... من أين تستطيع أن تشتري صندوقاً للأحذية، وكم ثمنه؟ أخبرها عن المكان والسعر فتوكلت على الله وقررت شرائه وهي لا تعرف ماذا ستصنع؟ وهل ستنجح الفكرة أم لا؟ سبحان من أنزل السكينة على قلبها والفكر لعقلها ... عادت إلى المنزل وجمعت أحذية أبنائها وبدأت تتعلم كيف تنظفها وتلمعها... وراحت تسأل نفسها هل سيتقبل المجتمع وجودها بينهم .. وقررت أن تغامر... حين عاد أبنائها خبرتهم بالفكرة ... كانوا في حيرة ...عرض كبيرهم أن يترك دراسته ليعينها ويتحمل مسؤولية البيت لكنها رفضت رفضا قاطعا ... وقالت بحزم: لن يترك أي

منكم دراسته ... وكان قرارها النهائي ... لن تسمح لهم بالضياع ..

وكانت البداية في ميدان صغير بجانب بيتها ... مر يومان لم يقف أي زبون بين يديها وعصفت بها الافكار ماذا أصنع هل أتراجع؟

ولكنها لم تسمح لليأس أن يغمرها .. وقررت أن تنتقل إلى ميدان كبير يسمى ميدان المحطة أكثر حيوية ونشاط ... انتقلت إليه وكان يبعد عنها عشر محطات..

وفي أول يوم لها تعرضت لهجوم لاذع وسخريه من الباعة الجائلين .. أما المارة فمنهم من يسخر ، ومنهم من يشعر بالشفقة ، او يستهزئ بالفكرة. وقد اتهمها البعض أنها خلعت عباءة النساء وارتدت رداء الرجال .. تعجبت ألم يعرفوا أنها يوم توفي زوجها أصبحت أم وأب؟! ومر يوم ، والثاني ، وقررت أن تتخذ خطوة إيجابية وحاسمة..

ذهبت لكبير الباعة وأخبرته بظروفها .. وأفهمته أن يبعد عنها الباعة وأذيتهم وسخريتهم .. ثم بدأت تعرض خدماتها على المارة وعلى مر الأيام اقتنع الناس بأنهم يساعدوها بوقوفهم بين يديها.. وكانت بداية جديدة وأصبحت

معروفة في المنطقة وكانت تمر عليها الأيام ما بين مشمسة ، وممطرة ، وعاصفة ، ومشرقة.. ولم تنقطع يوما ، إلا يوم الجمعة من كل اسبوع ، حتى في المناسبات كانت تنزل للعمل ومر عليها سبعة عشر عاما وهي كما هي تتحمل ألم الجسد وتقلبات الزمان .. وتذكرت يوم أخبرتها ابنتها أن زميلاتها يعيرونها بأن أمها ماسحة أحذية نهرها أخوها الكبير..

قائلا : إن حذاء أمه على رؤوس الجميع فهي الأقوى والأفضل .. يومها عرفت أن الله أعطاها رزقها في أبنائها.. وهي نعمة لا تضاهيها نعمة... تخرج أولادها من الجامعات كلهم بلا استثناء.. وابدا لم تسمح لهم بالتسرب من التعليم.. وذات يوم وصلها خبر من وزارة الشئون الاجتماعية فوزها بجائزة الأم المثالية.. ولم تعرف من أرسل تلك الرسالة ويوم استلمت الجائزة علمت أن أبنائها هم من أرسلوها.. كانوا ما بين مهندس ومحاسب وخريجة كلية التمريض العالية وسياسة واقتصاد وكانت لهم فخرا وتاجا على رؤوسهم.. أبدا لم يشعروا بالعار أو يخجلوا منها .. وقد قررت اليوم التقاعد لا عن خجل ولكن أصبح ذراعها لا يساعدها على العمل وخاصة أن أبنائها قد استقروا ... منهم من تزوج ومنهم من يستعد للإستقرار.. وكثيرا ما تتذكر كلماتهم...

أنت يا أمي نفحة من الفردوس نافذة على الجنة بوجودك تكتمل الفرحة في حياتنا كانت تراقبهم وتسعد بزرعها الذي حصدته على مر السنين ...

رجل لكل الأزمان

ما بين الميلاد والموت ، نعيش متعلقين بأذيال الحياة ... تلك قصه لواقعية الحياة بكل ما فيها من تناقضات .. ما أروع الأحلام حين تتحول إلى واقع ملموس، هكذا تبادر إلى ذهنه وهو يستمع إلى كلمات التهنئة من الموظفين حوله.. فقد أصبح وكيل الوزارة الجديد، شكرهم وطلب منهم أن يعودوا إلى مكاتبهم...

ووقف في نافذته يراقب وكيل الوزارة السابق وهو يركب سيارته وتذكر كلماته المستفزة (اليوم أرحل وغدا تلحق بي فلا تغتر كثيراً، واعلم أنك وصلت لما أنت فيه بدهائك لا بكفاءتك.. وتذكر إنك لست بعملة نادرة في هذا الزمان)

رحل وكلماته ترن في فضاء الحجرة.. ولكنه يعرف قواعد اللعبة فلم يهتم ..

وراحت تتزاحم الذكريات وتتدفق إلى عقله بغزارة، وتذكر ذلك اليوم الذي غير مجرى حياته، إذ وصل لعلمه أن هناك بعض الترقيات في الوزارة.. وراح يمني نفسه أن يكون من النخبة المختارة للسفر للعاصمة فهناك يستطيع أن يحقق أحلامه التي طالما راودته وراح يسعى جاهدا لتحقيقها، نعم هو بقريته مهاب فهو في المجلس المحلى ولكن في الوزارة سيكون في الصدارة وفي مركز القرار.. راحت تموج في راسه الأماني كالبحر المتلاطم وراح ينسج ألف حلم وألف امنية.. وتذكر يوم أكدوا له الخبر بترقيته وكيف أصابه الوجوم.. أهذا معقول ؟! أن تتحقق الأحلام بتلك السرعة ... فبعد ان تمت ترقية رئيسه من مدير عام إلى وكيل وزارة.. اختاره معه.. وكانت تلك الخطوة الاولى..

وتذكر يوم أخبر زوجته.. أطلقت الزغاريد ولكنها راحت تكيل له النصائح وتدعو له قائلة:

كفاك الله شر المناصب وابعد عنك الطمع وكل عين حاسد...

وابتسم بينه وبين نفسه أي شر.. وراحت شياطين الطمع وشهوة السلطة تلتهم آخر ما تبقى في عقله من ضمير..

وأسمال الفضيلة التي كان يتسربل بها امام أهل القرية راحت تتساقط لتكشف عورات نفسه أمام ذاته فلم يهتم..

الآن سيبدأ سلم الصعود للقمة أما تلك الكلمات الجوفاء عن الضمير والفضيلة لا تسمن ولا تغني من جوع تنهد وخرج يراقب الحياة الرتيبة للقرية ... ويحدث نفسه:

- لا اعرف ما الجمال في هذا الأخضر الممتد على مرمى البصر. متى اتخلص من تلك الرتابة متى أغوص بحياة المدينة بكل ما فيها من صخب وسمر والأهم الفرص..

وأقسم سيقتنص كل فرصة تسنح له...

والتفت وجد زوجته تراقبه سألته بتعجب ما بالك شارد الزهن؟

لم يجب .. وتركها وسار بخطوات نشيطة مبتعدا.... وقد اتخذ القرار.. هذه الزوجة لا تصلح لحياة المدينة ستبقى هنا بالقرية هي وأبنائه...

واستفاق من شروده على رنين الهاتف..

ونظر أنها زوجته الجديدة الجميلة الراقية.. والتي تناسب المرحلة الحالية...

وأجابها.. نعم.. عندنا حفلة سنذهب سويا استعدى في الثامنة ...

وفكر ... غدا أو بعد غدا أخبر زوجتي الاخرى عن الترقية الجديدة..

فانا لا أعرف متى تدور الدائرة سأستمتع بكل لحظة.. وابتسم لمساعده الجديد وهو يكيل له المديح وقد انتفخت اوداجه..

فاليوم كانت البداية.. للخطوة الجديدة.. تلك الحفلة أقامها له بعض رجال الأعمال بمناسبة ترقيته وصل هو وزوجته الجديدة يختال كالطاووس .. متخذا قراره بأن يصل إلى القمة.. فقد كان مبدأه الغاية تبرر الوسيلة...

وراح يخطط للمرحلة التالية أن يصبح وزيرا أو عضوا في مجلس الشعب ولكن هذا يحتاج ألى خطه هادئة وذكية وكذلك يحتاج إلى الكثير من المال

الدخل الحالي أصبح لا يكفى .. وأصبح يقوم بأداء خدمات مقابل المال أو الهدايا العينية ولكن ليس أي هدايا ..

وراحت تمور في رأسه الافكار وتداعبه الأحلام

راح يتلمس الطريق ليتسلل إلى عالم المال والأعمال وكانت البداية ..

كانت له رحله للخارج طلب منه صديق أن يحمل معه هديه إلى صديق لأنه لن يتم تفتيشه فهو شخصيه مرموقة وعلى أن يعطيه مبلغا كبيرا من المال وذكر له مبلغ لم يحلم به.

لم يهتم بالسؤال ونفذ الطلب واصبحت كل رحلة مصحوبه بمبلغ ضخم من المال وبعض الهدايا القيمة لزوجته

واستكان بين ذراعي الطمع ولم يحاول التفكير.. عاش اللحظة بكل ما فيها

ولا يعرف كيف سقط من حسابه زوجته الأولى وأبنائه لم يشركهم في كل تلك الحياه المترفة ولا هذا الصعود ..



كان يرسل لهم المال وكذلك اشترى بعض الأراضي بأسماء أبنائه ليهرب من المساءلة وليس حبا فيهم ...

وذات يوم علم انه أصبح مرشحا من قبل البعض لدخول انتخابات مجلس الشعب

وكانت فرحة لا توصف .. وفاز بالانتخابات

واصبح ثعلبا في غابه تسكنها الضواري .. وعاش حلم الثراء بكل تفاصيله..

وذات يوم طلبت زوجته الأولى الطلاق وهددته إن لم ينفذ طلبها ستقوم بالتشهير به وستستعمل كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة .. كانت طعنه لكبريائه ..

نفذ طلبها على مضض فكل ما يشغله تلك الأرض المكتوبة لأبنائه وكيف يستردها .. وأصبح أكثر شراهة للمال والسلطة ..

وراح يقوم بتوصيل المخدرات من الحدود إلى العاصمة في سيارته فهو شخصية معروفة.. لم يتعرض ولا مرة للتفتيش يكفي أن يعرفوا هويته حتى تفتح له كل الأبواب ... حتى كانت الصدفة القاتلة..

إذ في نفق العبور كانت هناك الكلاب المدربة على رائحة المخدرات تمكنت من شمه وتم تفتيش السيارة وعثروا معه على كميه من المخدرات وتم القبض عليه..

وكان السقوط المريع .. وكما هي العادة هرب الأصدقاء المنتفعين وكذلك الزوجة الصغيرة فقد اكتفت منه واخذت تبحت عن صيد جديد ..

أما هو فقد عاش حياة السجون ..

آه لو أنه استمع إلى صوت ضحكات القدر لأصابه الفزع.. وراح يراجع رحلتي الصعود والهبوط ويفكر..

شاقه هي رحلات الصعود.. مدويه رحلات الهبوط تسقط معها كل الأقنعة..

دائرة الضياع

كانت تغمض عينيها ، مستأنسة بوحدتها تحلم أن تظل هكذا مغلفة بالصمت أفاقت منتفضه على صدى صوت يزجرها

- هل ستعودين للنوم الساعة قاربت على التاسعة؟

بصوت خفيض أجابت: أستريح حتى تستيقظ فلم أنم جيدا أمس

- تحركي..

إرتدت عباءتها على عجل .. راحت تسير بخطوات متثاقلة .. ووجه قد عبثت به الحياة القاسية ورسمت عليه خطوطا بعدد سنوات عمرها .. وعيون مثقلة ببقايا نوم لم يكتمل وقد عجزت عن فتحهما .. أرهقها السهر واضناها الإرهاق .. تعثرت بلا سبب .. سقطت ولامس جبينها الثرى .. أسندت رأسها مستسلمة واجتمع حولها من يرفعها ... ومن يسألها فقد ظن الجمع أنها اصيبت بسوء..

ظلت ساكنة.. سجدت في تضرع أن يرحمها الله ويلهمها القوة .. ورفعت وجهها فلم تر إلا أقدام تحيط بها .. لم تجفل فقد اعتادت من زمن لا تنظر إلا للأقدام فالوجوه أصبحت تدميها تربكها ونهضت متثاقلة تنفض ما أصاب جسدها وملابسها وراحت تهرول فقد تأخرت.. اشترت الإفطار.. عادت .. فاستقبلها بصوت كالرعد .. متكاسلة متخاذلة ألا تعرفين أن لدى موعد ؟! ..

وتساءلتْ بصمت أي موعدا هذا ؟ فهي تعرف انه سيجالس أصحاب السوء على قارعة الطريق يدخنون ..يتهامسون .. ينظرون للغادي والرائح ولا يحترمون احد..

أكل طعامه بتأفف وخرج .

وبالتأكيد لم يهتم أن كانت تملك مالا أو تحتاج إلى شيء ..

وقفت تراقبه من نافذتها أين الزوج الذى تزوجته ... أين من ظلت تجمع معه المال حتى اشترى تلك الشقة الصغيرة وهى كل ما يملكانه من الحياة ..

سبع سنوات عجاف كانت تقطر على نفسها الى حد التقشف.. حتى تزوجا وكان نجارا بارعا..

أعاد تجهير أثاث منزلهم المشترى من سوق المستعمل وكانت تفتخر بعملة ..

رزقه الله بالمال ومع المال رزقه بأصدقاء علموه كل الرزائل

ظننت بعد الزواج ستستريح ... ولم يمر إلا عاما حتى تدهور الحال وعادت للعمل

سمعت الساعة تدق الحاديه عشر ولم يتبق إلا ساعة ونصف على ميعاد مدرسة طفلها ..

وأعدت على عجل طعامها وخرجت تأتى بصغيرها من مدرسته ... هو في الصف الأول الإبتدائي ... أنه دعامتها التي تمنع عقلها من الجنون .. أخذته على عجل كأنما يطاردها ألف عفريت نظرت الى واجهة أحد المحال بالصدفة.. فرأت صورتها.. عبست من تلك العجوز لا اعرفها وكيف تحمل طفلي.. وانتفضت على صوت طفلها أمي أمي ما بالك؟

انتبهت أهذا انعكاس لصورتها؟ ... ماذا أصابني؟ وجه قد ناهز الستين وعمر ما تعدى الأربعين ... وعادت للمنزل..

وقفت امام المرآة تراقب الوجه الكالح والجسد المكون من عظام وجلد وتنهدت بأسى واستفاقت على صوت طفلها..

- جائع يا أمي ... عادت سريعا للواقع وقدمت له الغذاء وتركته مع جارتها لتذهب لتلك العجوز المريضة لتجالسها حتى العاشرة مساء ... تعود منهكه تعطى لجارتها الخمسة جنيهات نظير رعايتها لابنها وتحمله وقد غفا على الأريكة ..

أيقظته بهدوء وأطعمته مما احضرت معها من بقايا طعام ... ثم ارتمت على فراشها ونامت منهكة بلا أحلام بلا حركه ..

تستيقظ على صوت الباب ويد تدفعها لتستيقظ ... ونظرت للساعة إنها الواحدة والنصف ... وبلا مقدمات ينتهك حرمة جسدها الهزيل .. ويغتال مشاعرها بلا رحمة.. وينام بدقائق ويتردد صدى صوته في ارجاء الغرفة ... وتعود للنوم.. ولا تسمح لنفسها بالتفكير أو الندم أو الرثاء للذات فتلك رفاهية لا تملكها ..

مع شروق الشمس تعود لدائرة لا تنتهي تتحرك كبندول الساعة في إيقاع ثابت

توقظ صغيرها.. تعد إفطاره تصطحبه لمدرسته.. وتقف لتراقب من هم على شاكلتها متهالكي الأبدان ، منهكي العيون والنفوس ، مضعضعي الأرواح ، لم تجد يوما ما يبعث على الأمل .. ولم تحلم أن تكسر الدائرة كيف وقد أصبحت عالقة فيها بلا إرادة أو روح..

وجفت القلوب

هل أبكيك يا وطني أم أبكى حالي وما آل إليه أمري فصراخ أطفالنا وعويل نسائنا لم يعد مسموعاً فقد أصاب الناس الصمم وكأننا فئران تجارب يشاهدها المجتمع ويتابع باهتمام ولكن لا يتحرك ... فقط ينتظر النتائج ... هكذا راحت تفكر وهي تهرول لتعود لدارها ...

وهى تحتضن الكيس الذي حصلت عليه بشق الأنفس من مكان المعونات القليلة التي تصل للبلدة ...قليلة لا تسمن ولا تغنى من جوع ... فلم تكن تملك من قوت يومها إلا الفتات ... ولديها طفل وطفلة وكلاهما يصرخ ألماً من الجوع ورعباً من أصوات الرصاص ، وهي المسؤولة عنهما الآن ، بعد أن خرج زوجها منذ أسبوع ولم يعد ... وصلتها أخبار متضاربة ... بعضهم قال قتل وبعضهم قال مصاب، لا تعرف وليس لديها وقتاً للتفكير، أو حتى البكاء فتلك رفاهية لا

تملكها ... فإن أكثر ما يقلقها أنها تركت صغيريها بمفردهما...

فالشارع الذي تسكن فيه تهدمت الكثير من دوره ورحل أغلب السكان... ورفض زوجها أن يترك المكان، وحتى لو وافق، إلى أين ستذهب فقد قتل أخوها وأبوها ولم تعد هناك مدينة آمنة...

أي حرب تلك!! ... إنها إبادة شعب تحت مسميات شتى مناصرة النظام أو الحفاظ على النظام أو الخوف من الدواعش أو الحفاظ على ترابط الدولة، كلها مسميات ... ولكن كل هذا لا يعنيها فما هي إلا مبررات ... المهم أن تصل إلى بيتها سريعا... فتحت الباب وراحت تنادى على ابنها علي وابنتها علياء فلم تسمع صوتاً... أصابها الفزع ودخلت مسرعة ... وجدتهم تحت السرير يحتضن أحدهما الآخر... اخرجتهم وضمتهم إلى صدرها ...ماذا هناك يا علي؟ قال لقد كان هناك قصف في الشارع المجاور وسمعت صوت انفجار شديد وراحت علياء تبكي ورفضت أن تخرج من أسفل السرير فدخلت معها أهدئها حتى تعود، قبلت طفليها وذهبت إلى الشباك الخلفي ... يا هول ما رأت منزل ابو محمد قد تهدم تماماً...

خرجت من بيتها تعدو وهناك وجدت ما تبقى من سكان الشارع يبحثون عن أحياء تحت الأنقاض وقد جلست أم محمد وهي في حالةٍ من الجمود... هناك تحت الأنقاض يرقد أولادها وأبيها المقعد ...

لقد تركتهم في البيت وخرجت لتبحث عن طعام لهم ... لقد سبق أن خرج زوجها ايضا منذ أيام ولم يعد ... أصاب أم علي حالةً من الجمود ... لقد تلاعبت كل الشياطين بعقلها... ماذا لو قصف منزلها وأولادها بمفردهم ... عادت سريعا إلى منزلها لتحضر أولادها معها وقد أقسمت ألا تتركهم بمفردهم بعد اليوم فليحيوا معاً أو يموتوا معاً...

عادت لتساعد الناس في البحث تحت الأنقاض ... سيحتاجون الليل بطوله ... دثرت ابنتها بغطاء وأطعمتها ، وراحت تشارك سكان الشارع في البحث في صمت ...

لا يسمعون إلا نعيق الغراب ، ونعيب البوم ، استخرجوا أجساداً مشوهةً ما بين قدم مبتورةٍ ويد ورأس مجرد اشلاء هل هناك كاتب يستطيع أن يصف هذا ؟! آه وألف آه ، أخشى أن أفقد الإحساس من كثرة ما شاهدت ...

قرر سكان الشارع أن أفضل حل هو دفنهم كما هم فهم شهداء ... وراحت أم محمد تضم تلك الأشلاء واحداً واحداً وهي تبكي ، وراحت تحدث نفسها .. أتلك قدم ابني؟

وهذه يد ابنتي ، أما تلك لا اعرف؟ ... نعم نعم هذا أبي وراحت تضمهم وتبكي بصوت هو خليط ما بين الأنين وحشرجات الموت ... جُمعت الأشلاء وتم دفنها قبل طلوع النهار ...

لقد أصبحت المقابر متكدسة ... ولم يمر يومان على أم علي حتى تعرض منزلها للقصف وقد كانت ... خارج المنزل هي وطفليها وهى في سعي دائم .. أما للبحث عن زوجها أو بحثاً عن طعام ...

وجلست تفكر أين تذهب وهى لا تملك شيئاً لا طعام ولا مكان يأويهم ... راحت تنبش بين الركام حتى وجدت فراغاً للدخول وتسللت إلى ما تبقى من الدار هناك فراغ يتسع لها ولأبنائها وقررت أن تنام بين الركام فمازال بداخلها أمل أن يعود زوجها لذلك لا تستطيع ان تغيب عن المنطقة ..

وفي اليوم التالي وبومضة من حسن الحظ وبريقا من الأمل حضر أحد اصدقاء زوجها وأخبرها أن زوجها أصيب

وأنه في مكان آمن وطلب أن تذهب هي والأولاد معه ... حمدت الله أنها لم تترك المكان ...

وصلوا إلى بيت شبه مهدم ، ومن تحته كان هناك شبه خندق، او مخبأ مجهز بالضروريات ، مشفى صغير ، وزوجها نائماً على مرتبه على الأرض ... استمع إلى صوت أبنائه فتح عينه ...احتضنهم ونظر إلى زوجته .. فقالت له ما بك يا أبا علي؟

أجاب: الحمد لله ... جلس والأولاد بجانبه ونظر إلى الغطاء مكان ساقه ...فقد بترت ساقه ، قال لها لا تفزعي فما زلت أملك ساق أخرى إنها الحرب القذرة، القناصون يصطادون البشر كما يصطادون الضواري بلا رحمة... أعتقد أنهم مستأجرون يتدربون علينا ويختارون أهدافاً تجعل منا عجزة ، لا أعلم لماذا لا يقتلوننا...

ماذا سنصنع أشعر بالضياع بعد أن هدم المنزل ومات أغلب الجيران .

وأخبرها أصدقاء زوجها أنه سيتم تهريبهم إلى خارج سوريا إلى الحدود التركية ..

ونظرت إلى زوجها أنرحل جميعا ؟، فقال لها نعم ستكونين أنت والأولاد في أمان ...

قالت بصوت هامس . لا يا أبا علي فهناك أيضا لن نشعر بالأمان بدونك وقد سمعت الكثير من القصص المرعبة.. أرجوك أخرجوا من هنا ..

لا وألف لا.. لقد أقسمت إما أن نموت بين جنبات مدينتنا فالهروب عار وخيانة لكل من مات من أهلينا وأصدقائنا.. أو نحيا فيها ... فلو خرج الجميع فإننا نسلمها لأشباح الموت وزبانية الجحيم يقتسمونها غنيمه سهلة ليعيثوا فيها فسادا وفى النهاية ، لكل أجل كتاب... وكان ابنهم ذا الأعوام السبعة وابنتهم ذات الأعوام الخمسة متشبثين بوالدهم وقد اتخذ الجميع قراراً لا رجعة فيه ... إما الشهادة أو النصر.

فإن الأوطان بلا بشر حجارة وأرض صحراء مقفرة ....

وتستمر الحياة

كثيرا ما نظن أننا تخلصنا من آلامنا وأحزاننا وأننا أصبحنا أكثر قوة، نتناسى الماضي فلا نلتفت له ثم يغلفه الزمان بخيوط حريريه ويدفن في أرض الذكريات بركن سحيق من العقل ... ثم يأتي حدث ما فتطفو على السطح بكل ما فيها من ألم وتنهش في القلب بأنياب من حديد وفى بعض الأحيان تنزف مره أخرى وبغزارة أكثر ....

سأعرفكم بنفسي ..فانا شابه في العقد الخامس ... نعم اليوم وقد تعديت الخمسين من عمرى ولكنى ما زلت أحتفظ بالكثير من حيويتي ولكن من سخرية القدر أن بعض صديقاتي يخبرنني أنى لو كنت مع زوجي لكان الحال غير الحال لكنت أصبحت أكثر إرهاقا وتقدما في السن ... ابتسم بيني وبين نفسى .. سواء كانوا على صواب أو خطأ فكل له نصيبه وقدرة المرسوم لا يستطيع أن يحيد عنه ...

وقررت اليوم أن اخرج لبعض الوقت فقد كنت أشعر بالخمول والكسل، وقفت أمام منزلي في أحد أيام شهر يناير وقد كان المطر رذاذا خفيفا ، وآشعة الشمس تحاول اختراق السحاب المتكاثف ليحجب الدفء، أتأمل روعة السماء المحملة بالسحب البيضاء كالثلج ، لذلك قررت الذهاب إلى المكتبة سيرا على الأقدام فقد تذكرت أيام الصبا واللهو تحت المطر في بلدنا الصغير في الريف..

وصلت إلى المكتبة وقد راح المطر يتسارع كأنه خيط متصل ما بين الأرض والسماء فلم اهتم فقد استمتعت كثيرا بتلك النزهة ، وكانت قاعة المكتبة العامة مقفرة والحضور قليل ، فاخترت الجلوس بجانب شابة وحيدة ، وطلبت من أمينة المكتبة كتابا من كتب التاريخ كنت قد بدأته منذ فتره ورحت أحتسى كوبا من القهوة سريعة التحضير كنت قد أحضرتها معي وعزمت على جارتي بعضاً منها فاعتذرت بأدب وعادت مره أخرى لكتابها ولاحظت أنها لم تقلب الصفحة ، ودموعها تتساقط بلا توقف وقد بللت صفحاته، وحاولت تجاذب أطراف الحديث معها ولكنها تجاهلتني،

فتحت حقيبتي وأخرجت منديلا ووضعته على الكتاب، لم أتكلم معها وخطرت في بالى فكره فأخرجت قالب من

الشيكولاتة ووضعته أمامها أيضا ، ولم يسعها إلا أن تنظر إلى فأخبرتها أنه يرفع معنويات النساء ويحسن مزاجهن فابتسمت وشكرتني بأدب ... وبعد قليل أغلقت الكتب بقوة ووضعت رأسها عليها في إنهاك ..

واستمريت في القراءة حتى وجدتها تلتفت لي وتبتسم شاكره على المنديل والشكولاتة ونهضت في تكاسل وتردد ..

واستعدت للخروج .. شعرت أنها تبحث عن منفذ للحديث ولكنها تستحي ..

وعرضت عليها أن أسير معها بعض الوقت فلم ترد ولكنها أشارت بالموافقة وخرجنا...

- ما رأيك أن نحتسى فنجانا من القهوة في المقهى بجانب المكتبة ووافقت وأحسست بأنها تشعر بالوحدة وحالة من الضياع ... وبلا مقدمات نظرت لي وقالت لا بد أن الفضول يأكلك يصارعك لتعرفي ما بي؟ ... نظرت إليها ولم أجب...

قالت: أولا سأعرفك على نفسي أنا شمس ...

قلت: مرحبا شمس أنا عائشة

قالت: في بعض الأحيان، نحتاج لمن نتكلم معه قد لا نتقابل مره أخرى أو ننسى حتى لقاءنا هذا، ولكنى سأخبرك بقصتي علها تخفف ما بي من ألم وما يعتمل في داخلي من حزن ... اليوم عيد ميلادي الخامس والعشرين ... وكما ترين أن الله قد وهبني مسحة من الجمال، ولكن بعد وفاة أبي وكنت في الثامنة عشر من عمري صمم أخوتي على زواجي وتزوجت، لم أكن أعرف عنه إلا أنه ابن صديق أخي الكبير وكذلك مديره في الشركة التي يعمل فيها...

وكان زواج سريعا، تم في ستة أشهر ولم أعرفه إلا بعد الزواج، وكان رجلا رائع المنظر ، زرى المخبر ، سريع الغضب ، يضرب بلا تفكير، ثم يعتذر ... مر عام ولم يحدث حمل وذهبت إلى الطبيب ، والحمد لله ، ولحكمه من الله اكتشفنا إنني لا استطيع الإنجاب، وما كنت أتخيل أنه بهذا السوء ... أرسلت إلى بيت أمي كطرد ليس له قيمه وأرسل خلفي ورقتي وأشيائي، أتعرفين، لم احزن ولو للحظه ، ربما لو أنجبت لعشت مع هذا الرجل طوال حياتي اتلظى بناره ... وما أبشعها من حياة، وتوفت أمي بعد عام من طلاقي وعشت في منزل الأسرة ... إلا أن اخي الكبير أيضا وذات يوم أحضر لي عريسا عنده 45 سنه وله أبناء ويريد

تزويجي مرة أخرى وحين رفضت اعتبرني متمردة وحرض باقي أخوتي على مقاطعتي حتى ارضخ له ، ولكنى ما رضخت ، ويكفيني زيجة فاشلة واحدة ... ابتسمت لها ... وطلبت فنجانا آخرا من القهوة ، وقلت لها: لا تحزني ، فألحياه فيها الكثير والكثير، واعلمي أنه لا يوجد في هذه الحياة سعادة مطلقة ، أو حزن مطلق ، ولكنها أشياء تتداخل ، وتتقارب ، وتختلف من شخص لآخر، كل حسب ظروفه ...واستطردت ...

- لو تعرفي ، قصتي هي الأغرب ، فأنت قصة تتكرر كثيراً إسمعيني بهدوء ، ولا تتعجلي الحكاية ... فها أنا الآن أعيش وحيدة أيضا ولكن في يوم ما كنت زوجة لرجل رائع بكل المقاييس ، طيب القلب ، كريم حنون ، فيه من الصفات التي تحلم بها كل فتاة ...

وكنا نعيش في منزل واسع بمنطقة راقية بمنتهى الصدق كنت زوجة سعيدة .. ولكن لنتفق أن دوام الحال محال ، كان لي خمس أخوات أخريات وقد قرر الأهل أن يزوجوا أختي الصغرى لأخ زوجي وقد كان على عكس زوجي ... كان عبوسا لا يحب الهزل ، وقد تقرر ان يسكن الزوجان معنا في نفس المنزل، لأننا كنا نعيش بالقاهرة

وعمله وعمل أختي سيكون بالقاهرة ... إذن لا داعى لشراء بيتا آخرا، فهو منزل كبير وحوله حديقة جميلة ... كانت تلك رغبة الآهل وتم الزواج ...

ومنذ اليوم الأول لم يكن هناك وفاق بين أختي وزوجها فقد كانا كثيري الخلاف، لم أكن أفهم الأسباب فكليهما عابس طوال الوقت ... وقد تفاقم الخلاف بينهما وأصبح كل منهما ينام بحجرة منفصلة ... وحاولنا أنا وزوجي إصلاح ذات البين ولكن لم نفلح ... وكانت أختي تعمل في نفس المنطقة التي يعمل بها زوجي فكان يأخذها بسيارته صباحا ويعودا معا في المساء ... وبعد مضى ثلاث سنوات إنتهى الأمر بين أختي وزوجها بالطلاق، وكان لابد لها من البقاء بالمدينة حتى تعيد ترتيب أمورها وأن يتم نقلها بعد ستة أشهر، وكان طليقها وهو أخ زوجي يعيش معنا في نفس المنزل في الدور العلوى لذلك لم تستطع البقاء معنا ، لذا عاشت مع أخت لي تبعد عنا حتى لا يراها طليقها أو يحدث بينهما أي احتكاك ... مع الوقت لاحظت نظرات زوجي الغريبة لي ولأخيه ويتساءل متى عاد ؟! ولماذا عاد مبكرا ؟! والعديد من الأسئلة الغريبة ..

وأصبح لا يتحدث كثيرا ، ولا يضحك كعادته ، ولم يعد يهتم أن نخرج كل جمعه كما كانت عادته منذ تزوجنا، وأصبح يخرج بمفرده ، ويعود مكتئبا ، حتى عاد يوما وكان أخوه مريضا وكنت أعطيه العلاج فنظر لي وطلب منى أن ألحق به وانفجر بلا سبب وطلب منى أن ابتعد عنه وخبرني أنه يعلم ما بيننا وأني السبب في طلاق أختي ، ولم يخطر ببالي أن لأختي يدا في هذا التغير،

واصبحت علاقتنا فاترة ... والأسوأ أنه أصبح ينام وحيدا ولم يمر إلا بضع أشهر وأصبحت مطلقة ، والطامة الكبرى أنه تزوج أختي ...

لك أن تتخيلي وقع هذا الخبر على وكذلك على أخيه وأصبحت بينهم اتهامات متبادلة وفجوة لا يمكن ردمها ... فكل فرد منا يظن أن الآخر السبب في دمار البيت ..

وعشت في تلك الحقبة حالة من الضياع ,, وعدت إلى البلدة وكانت عودتي غلطة.. فقد أصبحت مضغة في أفواه أهل البلدة، حتى أمي لم ترحمني، اتهمتني أنا وأختي أننا جلبنا لها العار ... بعد أن كنت مجنى علي أصبحت متهمة ولا أعرف تهمتي، ولم أعرف أي ذنب جنيته حتى أعامل

بتلك الطريقة ؟! وعاد اخ طليقي للبلدة وشاهد حالتي وما أمر به فقرر أن يعوض على ، كتب بإسمى نصف البيت كتعويض لي وأجبر أخاه أن يتنازل لي عن النصف الآخر (بصفته مؤخر صداق بدل من المال) وعرض علىِ أن نتزوج ولكنى رفضت ، لم أستطع أن أواجه نظرات الشفقة في عيون من حولي، وفى بعض الأحيان نظرات اتهام صارخ ...

أقسم أنى لم أعرف ما ذنبي في كل هذا، وصممت على العيش في القاهرة برغم اعتراض من حولي ولكنه اعتراض مقتنع فقط خوفا من التقاليد البالية ، وقد مر على تلك الاحداث عشرون عام وها أنا ذا أعيش في القاهرة في نفس البيت ...

لم اتزوج ... دخلي الأساسي من قطعة أرض في بلدنا بالإضافة إلى بعض الاعمال اليدوية التي اقوم بها ... أما عن أختي فقد انفصلت عن زوجي الراحل وبعد بضع سنوات تزوجت وانجبت ثلاثة أبناء ... ولم نتحدث من يومها ، فهناك جراح لا تندمل وتترك ندبات دائمة في النفس...

- ما اقسى حكايتك كيف استطعت ان تتعايشى مع كل تلك المرارة والأحداث؟

ألم تحاول أختك التواصل معك؟

- لا شمس ... لم تحاول طوال السنوات الماضية أن تسأل عنى أو تبرر أفعالها ...

- أسمع الأغرب ، لقد طلب منى طليقي أن يعود لي مرة أخرى ولا أعرف كيف واتته الشجاعة لمثل هذا الطلب... وحاول أن يجد مبررا لأفعاله ..وراح يقص على أكاذيبها و السموم التي راحت تبخها بأذنه ، ولكن هيهات فمن المحال ان ننسى جرح جاء من الأقرب والأحب إلى القلب..

ونظرت لها وسألتها: ما رأيك ؟

- والله يا عائشة إن قصتك غريبه بالفعل ...

ابتسمت لها بهدوء قائلة: يا عزيزتي، أنت لك بيتا وعملا ومازلت في عز الشباب ولك شخصية قوية فإياك أن تسمحي لأحد أن يجبرك على شيء أبدا ...

ابتسمت شمس ابتسامة مشرقة تختلف كثيرا عن تلك العيون الغائمة التي التقيتها بها في الصباح ، وقالت: إن لقائنا هذا قد خفف عنى كثيرا، أعطاني القوة لأدافع عن حقي في الحياة ، أما عن الرثاء على الذات فقد تخلصت منه وسأواجه الواقع بلا خوف .... واتفقنا على لقاء آخر ... وتبادلنا أرقام التليفونات، وتركتها ورحت أسير بروية وقد أشرقت الشمس من جديد واختفت كل الغيوم وراحت السحب ترسم أجمل المناظر هناك على امتداد البصر ... وأحسست بدفء من الحياة يجتاح قلبي ..

فللحياة وجوه مختلفة كل حسب وجهة نظره ...

عقل حائر ثائر

لم تقلقني يوما دقات القلب المضطرب... بل ما يرهقني ضجيج العقل الحائر وثورة براكين الفكر المتفجرة في هذه الروح ... عشت بأرض شاسعة يتردد بها صدى ضجيج العقل .. إنها أرض الأفكار المتصارعة... خمسة وعشرين عاما وأنا أعيش على هذه الحالة ... منذ أن كان عمري ست سنوات ...

يوقظني في منتصف الليل على ذبذبات كأنها لمسات كهربائية ، تتسلل لجسدي . ثم يبدأ الضجيج... استمع لهمسات الكون ...من بشر وكائنات ... أظن أن هناك من ينصت إلى راديو أو يشاهد تلفازا، وأهم بالنداء ولكن لا يخرج لي صوت ... اكتشف أنه هذا العقل الصاخب ... أحاول ان اعود للنوم ولكنه يأبى أن يستجيب، فهذا أنين روح باكية، وهذا كائن يسبح وتلك شجرة تترنم، وهذا طفل، وهذا ، وهذا.. من أين تتسلل لعقلي كيف تخترق حواجزي ... لا اعلم ، لا يخرجني من كل هذا إلا آذان الفجر ... وصوت خف على الأرض يسير بهدوء وصوت الصنبور إنها

أمي تتوضأ ... وهذا صوت ابي يتوضأ أيضا ... ها هو الباب قد أغلق بهدوء نعم ينزل للمسجد ... وها هي أمي تصلي وتدعو ... وبرغم الهمس أسمع صوت دعائها بوضوح ... انه الصوت الواقعي الوحيد الذي اسمعه الصوت الذي يعيدني للحياة ويجعل يومي مشرقا بالأمل ...

الآن ستأتي الى حجرتي وتفتح الباب بهدوء، تنظر لي ولتطمئن إنى نائم ... أغمض عيني واتنفس بانتظام حتى لا تشعر بي .. وتكتشف أن النوم قد فارقني فتجلس بجانبي وهي مرهقة..

تصلح حولي الغطاء ثم تخرج وتغلق الباب .. كأنما خروج أمي يعيد تلك العوالم لي مرة أخرى ... فجأة يهدأ هذا الضجيج الذي لا ينقطع كأنما أصبح عقلي مسكنا لكل أفكار البشر ... أرجوه الهدوء ثم استسلم وأغمض عيني مع شروق الشمس ويأخذني النوم حثيثا فأدخل في غيبوبة بلا شعور حتى توقظني أمي للذهاب للعمل ..

كأنما يأبى عقلي أن ينام إلا بعد أن يستيقظ الناس فهو يسمع العقول حينما يغفو البشر... اليوم لا عمل ولا لقاء مع

الأصدقاء متفرغ تماما وهذا ما يزعجنني ... فتلك اللقاءات هي منقذي من حرب مستعرة في عقل مضطرب..

لا أنسى حين أخبرت الطبيب عن حالتي قال اذهب لدكتور أمراض نفسيه ... أستيقظ على لمسة يد حنون هيا ميعاد دواءك .. أفق، فقد أعددت لك إفطارا ستحبه ، إتبعني سريعا فالساعة الحادية عشر اليوم أجازتك ولا داعي للكسل

أمي دعيني، أحتاج للنوم قليلا ...

- أعلم إنك كنت مستيقظا حين دخلت بعد صلاة الفجر..

- كيف شعرتي بي؟ ...

ابتسمت بهدوء وقبلت رأسي ... تحرك وتعال إلى المطبخ ، حاولت النهوض ، ما هذا ؟! .. أشعر بدوار خفيف ... اتكأت على الوسادة وأخذت نفسا عميقا وأغمضت عيني ..

وفجأة سمعت زمجرة وضجيجا انتفضت فلم أجد أحد، لا لابد أنه أصابني الجنون..

هل أصبح الضجيج نهارا أيضا؟

ذهبت متكاسلا وتحركت بخمول وصلت فوجدت أمي تعد لي فطائرا مقلاة ، محلاة بالعسل الابيض .. مددت يدي لآكل فقد كنت جائعا ...

وفجأة شعرت بشيء ساخن يلمس وجهي فتحت عيني ووجدت نفسي في المشفى فقد سقطت مغمى علي ... إنها نفس الحالة النفسية أو البدنية لا أعرف ... قالوا صرع ولا علاج ...

وكانت تجلس بجانبي وتمسك بيدي وتقول لقد حاولت ولكنك لم تستجب فطلبت الإسعاف..

أغمضت عيني مطمئنا إنها بجانبي تحرسني كلما أمسك يدها يختفي الضجيج ...

هناك من يوقظه.. إستيقظ هل مازالت نائما؟

لا لست نائما أنا مستيقظ ولكنى آخذ قسطا من الراحة.. أمي ... رجاء أريد كوبا من الشاي باللبن ... وصوت يناديني ... أين أمك؟ رحمها الله يا بنى أما زلت تعيش تلك الحالة من الهلوسة منذ وفاة أمك من عشر سنوات وأنت تستيقظ على هذه الحال ... تحركت بكسل ... متى يتوقف

العقل عن تلك الرحلة المجنونة إلى عالم من اللامعقول ... متى سيقتنعون أن أمي قد تركت روحها معي ... كم أفتقد فطائر أمي المحلاة وحديثها الأكثر حلاوة ... فمنذ كنت طفلا لم تنهرني ، او تتهمني بالجنون ... دائما كنت أقص عليها رحلات عقلي أثناء الليل ، كانت تسمعني وتصدقني ، لم تتهمني يوما بالجنون والهلوسة ... وقد وعدتني ان تظل بجانبي إلى آخر أيام حياتي

وكانت تقول لي إن مرضي لن يكون عائقا لي في الحياة ... دقائق وسأستعد للخروج يا أبى ... وابتسمت ها هي روح أمي تسير بجانبي ...

الدائرة المفتوحة

تنهيدة أنين تخرج متقطعة وقد احتضنت ألبوم صورها ما أغرب مفاجآتك أيها الدنيا.. بعضها يسعد القلب وبعضها يوقفه ويسلبه الرغبة في الحياة وخاصة حين نظن أننا آمنين..

وراحت أصابعها تتحسس صورة زفافهما وقد امتزجت بدموعها المتساقطة بغزارة ..

آه ... لمَ رحلت بعد أن أطعمتني شهد الحياة ... ماذا أصنع وأنا التي كانت تتدلل ... تصول في حياتها كما تشاء وتجول في ربوع أرض عمرها بلا قيود ... اليوم تحجرت الدموع، وتباطأت دقات قلبي المجهد..

لا أعرف متى تنجلي سحابات حزني؟ وهل ستنجلي يوما ما؟

هل اقاوم ... هل أستسلم؟ ... كل ما يشغلني ذلك الصغير القابع في وحدته ، هو مركز الدائرة التي أدور حولها، لذلك لن أخضع ولن أستسلم ...

كشرت عن أنيابها .. تداولت مع نفسها .. وكان قرارها ستنازل الحياة بسيف الرجاء لمن أتاها من يعرض العطاء بوجه بشر ومكر ثعلب فأبت... وقررت ان تسير وحيدة بعد ان انكشف الكثير من زيف الوعود.. تعثرت ... سقطت ... امتدت الأيادي لترفعها ...تجاهلتهم بأمل مخنوق ... وعند الغروب عادت إلى عرينها مضعضعة النفس ... جلست تقص على صغيرها ما كان ... غضب الصغير... وقال: يا أمي إبرأي من تلك الأوهام تطهري من زيف الحضور ونفاق يسقينا الندم جرعات وعذابات لا تنتهي

وبضحكة مذعورة كأنها البكاء أطعمته بضع لقيمات وقالت:

- يا صغيري من سيأتيك بهذه؟

راح يلوكها إختنق ... بصقها ... ضمته ... هدهدته ... جلست تفكر وقد أضناها الشوق إلى دفء الصحبة ... نظرت إلى صورته المعلقة ...

- ماذا أصنع؟ قالوا أغلق دارك وابق فيها ولا تخرجين..

ما أصعب أن أدخل تلك الدائرة وشمسي لم يكتمل شروقها

- سأحاول من جديد ولكن بعقل منفتح وإرادة قوية

- سأتحدى الواقع .. سأعتلي جبال الشقاء سأجبرهم أن يتراجعوا وسيتعثرون في غرور كبريائهم الزائف ..

قالتها كأنها تلقي حصوات من غضب...

وراحت تدور في تلك الدائرة الجهنمية.. في تلك الدائرة المفتوحة تحاول الارتقاء نحاول ان تتخطى كذب الواقع..

- اتحداهم ...هؤلاء القابعون في أبراج تفكيرهم المتحجر. .

راحت تسوس المسؤولية المتراكمة على أكتافها الضعيفة الهزيلة ... متشبثة بمركز الدائرة . وكلما أنهتها تتعثر بتلك النقطة المفتوحة.. تسقط ... تنهض من جديد وتبدا دورة جديده.. فكرت هل ستستطيع أن تنهيها يوما ما؟

وفى المساء، أقبلت جلست بين ذراعيه غفت كما لم تغفو من دهر أفاقت على لمسة ناعمة هزتها أمسكتها جذبتها إلى هناك..

دعوه خالصة للارتقاء ...

توضأت ... جلست لتصلي .. جلس الصغير يراقبها ودموعها تتساقط ... صنعت أخدودا من حيرة على وجنتيها ... جلس بجانبها قبلت رأسه مسح مكان سجدتها بكفه الصغير. لملم تلك القطرات ... لمس حبات النور المتساقطة اغلق يده ثم أطلقها فراشات ملونة راحت تدور حول راسيهما ... نظرت ... فهمت انها كانت تطارد سراب تحارب طواحين الهواء ... لن تهتم بما يقولون ستكون هي كما تريد أن تكون ... ضمته اغلقت عليه دائرة ذراعيها وتركت دائرة الأمان تحملهما الى قمة السكينة ...

الكاتبة في سطور



- ماجي صلاح
- أديبة من مصر العروبة، شاعرة وكاتبة
- تخرجت في كلية البنات لإدارة الاعمال عام 1984
- أصدرت ديوانها الأول – معزوفة ألم – عام 2016
- تهوى القراءة والكتابة وعاشقة للشعر والادب والفن والتاريخ
- صدر لها
- الدائرة المفتوحة (مجموعة قصصية) عن دار النيل والفرات للنشر والتوزيع (طبعة أولى سبتمبر 2018)

محتوى الكتاب